مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

كتاب الإبدال

تأليف

الإمام العلّامة حُجّة العرب

أبي الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي

المتوفى سنة ٣٥١ هـ

الجزء الأول

حققه وشرحه ونسّق حواشيه الأصلية وأكمل نواقصه

عزّ الدين التنوخي

عضو المجمع العلمي العربي

دمشق

١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م

الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ حَمْدُ الشَّاكرين ، وصَلَواتُه الطّيّباتُ عَلى النبيِّ العَربيِّ المُبين ، المرسَلِ حَياةً للعَربيّةِ والعَرَبِ ، ورحمَةً للعالمين .

أمَّا بَعْدُ فإنَّ كتابَ الإبْدال لِحُجّةِ العَرَبِ أبي الطَّيِّبِ عبدِ الواحِدِ بنِ عليّ اللُّغويّ الحلَبيِّ أوسَعُ ما صُنِّف في الإبدالِ اللُّغَويِّ ، ولَطالَما تَشوَّقتْ إليهِ قُلوبُ علماءِ اللُّغةِ وتأسَّفت على ضَياعه ، وما صَرَفهم عنِ البَحثِ عنه في خَزائنِ الكُتُبِ المُنْتشِرةِ في العَالم إلاَّ ما ذكرهُ المؤرِّخون من ضَياع أكثرِ مؤلَّفاتِه بعدَ أن لَقِيَ ربَّه في فاجعَةِ الشَّهباءِ شَهيدا ؛ وأنا إذ أبعثه اليومَ بعدَ ألفِ سَنةٍ ونيِّفٍ من مَرقَدِه ، ظهرَ خلالَها قليلاً وغابَ طويلاً ، ثم أُقدِّمُه هَدِيَّةً لُغَوِيَّةً إلى فُقَهاءِ لغتنا العَرَبيَّة ، أحمَدُ اللهَ الذي وَفَّقني إلى اكتشافِ هذا الأثرِ اللُّغَوِيِّ النَّفيس ، أو الدُّرَّةِ التي ليسَ لها في العالَم ضُرَّة ،

بَلْه أرى أنَّ عُثوري على مثلِ هٰذهِ الضَّالَّةِ النّادرة هي من اللهِ إِحسانٌ لا يقومُ بشُكرهِ لسَان ، فعَسَى أن يَشفَعَ لي ذلكَ - إِنْ قَصَّرتُ في تَحقيقهِ - بتجاوُزِ الكَريمِ الذي لا يَستَقصي ، فلَقلَّما خلا تحقيقُ كتاب من مُبَايَنةٍ لوَجْهِ الصَّوابِ ، والتنزُّهُ عن الخطأ مُعْوِز ، والكمالُ لغيرِ اللهِ مُعْجِز ؛ «رَبِّ اشْرَحْ لي صَدْرِي ويَسِّرْ لي أَمْرِي ، واحْلُلْ عُقْدَةً منْ لِساني يَفْقَهُوا قَوْلِي » وآخرُ دعوانا أَنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العالَمين .

وكتبَ

دمشق الجديدة في { ٢٧ رمضان ١٣٧٩ هـ / ٢٤ آذار ١٩٦٠ م

عز الدين التنوخي

المدخل
إلى إبدال أبي الطيّب

الإبدال اللّغوي أو الاشتقاق الكبير . — عاملٌ من عوامل نموّ اللغة ونتيجةٌ لمقدماته الاجتماعية والدينية والاقتصادية والحربية ، والقرآن المبين هو ولا ريب فيه من أقوى الاسباب لحفظ لغتنا العربية وتوحيد لهجاتها المختلفة ، وبفضله تمّت وحدتنا العربية الأولى بما ألّفه من قلوب العرب ، وبه تمت وحدتنا اللغوية الثانية ، فأصبحت لغة قريش هي اللغةَ المثالية المشتركة ، واقتبست قبائل العرب كثيراً من ألفاظ القرآن الذي نزل بلغة قريش ، واستبدلوا ألفاظه الفصحى بألفاظهم التي لم يستوفِ كثير منها شرائطَ الفصاحة المضرية ، فقوّموا بذلك ألسنتهم بمحاكاة فصحاء مضر ، ممّا أدّى الى تقارب اللهجات وفصاحة المفردات .

واستمرّ عامل التطوّر الصوتيّ على عمله الطبيعيّ في الجاهلية بما ذكرناه من الأسباب وبتأثير أسواق العرب ، وفي الإسلام بفضل القرآن ، ونشأ عن هذا التحوّل اللغويّ وجود ألفاظ متشابهة مبنىً ومعنىً ، ولما شرع رُوّاد لغتنا ورُواتها الأولون يلتقطون من أفواه البوادي هذه الألفاظ المتعاقبة والمتشابهة لفظاً وخطّاً ، ظنّوا باديَ الرأي أن هذا الابدال بإقامة حرف مكانَ آخر ، مع بقاء سائر الحروف متماثلةً ، هو سنّة من سنن العرب ، فلهم متى أرادوا أن يبدلوا حرفاً بحرف ، وللعربي الصريح ان يتصرف بلغته العربية كما يشاء .

ولعلّ من أول من خطر بباله أن يسمي هذه الظاهرة اللغوية (إبدالاً) هو عبد الملك بن قُرَيب الأصمعي (- ٢١٦ هـ) ، وشاركه في هذه التسمية يعقوب ابن السكيت (- ٢٤٤ هـ) فقد سمّى كتابه (القلب والابدال) (١) ، ثم جاء عبد الرحمن الزجّاجي (- ٣٤٠ هـ) الذي ألّف كتاباً سمّاه (الإبدال والمعاقبة والنظائر) (٢) ، كما أن شيخنا أبا الطيب اللغويّ (-٣٥١ هـ) سمّى كتاب الحروف المتعاقبة التي جمعها (كتاب الابدال) ، وليس ببعيد أن يكون بعض ما في إبدالنا هذا من تلك النظائر المتعاقبة التي رواها عن الاصمعيّ ، وهي مما جمعه في كتابه الابدال .

وما انفرد الاصمعي في التقاط أمثال هذه النظائر من أفواه الأعراب ، فقد حاكاه في ذلك اليزيدي (٢٠٢ هـ) واللّحياني (القرن الثاني) والشّيباني (- ٢٠٦) وقُطرب (- ٢٠٦ هـ) والفرّاء (- ٢٠٧) وأبو عبيدة (٢١١) ، وأبو زيد الانصاري (- ٢١٦) وابن الأعرابي (- ٢٣١ هـ) والكسائي (- ٢٣١ هـ) وغيرهم من رُواة البوادي ، أو الآخذين عن الأعراب الوافدين الى الأمصار كأبي مالك عمرو ابن كركرة ، وأبي مهديّة وابي خيرة العدوي وابي الدُّقيش وابي البيداء الرياحي ورؤبة بن العجاج الراجز وابي المنتجع والفقعسي واضرابهم ممن أخذت عنهم اللغة ؛ ولما كثر تردّد الاعراب على الرواة في الحواضر اقبل بعضهم على الطلب والرواية عن العلماء والتلمذة لهم كأبي مسحل عبد الوهّاب ابن حريش الأعرابيّ الذي قدم من البادية ، وأخذ النحو عن الكسائي (- ١٨٩) ، وروى شعرا كثيرا في الشواهد عن عليّ بن المبارك ثم صنّف في النوادر والغريب (١) ، وقد عقد ابن النديم في كتابه الفهرست

(١) نشره المستشرق هفنر في الكنز اللغوي (بيروت) سنة ١٩٣٦

(٢) وقد شرعنا في تحقيقه وسينشر في مجلة مجمعنا بعون الله قريباً .

(١) وقد عثر صديقنا الدكتور عزة حسن أمين المخطوطات الظاهرية بنسخة جيدة من (النوادر) لأبي مسحل وسينشرها مجمعنا العلمي العربي قريباً .

فصلًا لأولئك الفصحاء الذين أخذ عنهم الرُّواة ودارت أسماؤهم في كتب القوم أو خطوط العلماء .

واسم (الإبدال) أول ما شاع بين العلماء بما ألفه الأصمعيُّ والزجّاجيُّ وابن السكيت وأبو الطيب ، وشاع مع الابدال أسماء البدل والمبدول والقلب والمقلوب والمحوّل والمضارعة والتعاقب والمعاقبة والاعتقاب والنظائر والاشتقاق الكبير أو الأكبر ، ورأينا أحمد بن فارس في مقاييسه إذا ذكر كلمتين متعاقبتين جعلها من باب الابدال ، وسمّى أبو الفتح بن جني كتابه في الابدال (تعاقب العربية) [١] ، وعقد في الخصائص للإبدال (باب الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه) ، ووعد بأن يشرح إبدال ابن السكيت على منهجه في الكلام على الحروف المتقاربة وبيان أصولها وفروعها ، ولم ينعته بنوع من أنواع الاشتقاق ، مع انه نعت (الاشتقاق) بالاصغر ، والقلب المكانيّ [٢] (كجذب وجبذ) مع التقليب بالاشتقاق الأكبر ، وكلا القلبين أقلُّ أثراً في نموّ اللغة وتطوّرها من الإبدال : قال صاحب المزهر (١/٣٤٧) وليس (اشتقاق التقليب) معتمدًا في اللغة ، ولا يصحّ ان يستنبط به اشتقاق في لغة العرب ، قلت : ولذلك لا نرى تلقيبه بالأكبر تلقيبًا علميًا دقيقا على أن كثيرًا من العلماء نعتوا الابدال بالأكبر كالسيد الجرجاني وأصحاب مَراح الارواح ونزهة الأحداق والعلم الخفّاق ، وسر الليال من المتأخرين ، كما نعته بالكبير الأستاذان عبد الله امين والدكتور ابراهيم أنيس من أساتذة فقه اللغة المعاصرين [٣] .

---

(١) قال فيه ابو الفتح : وأُطرِفُ به ، وحجمه مائتا ورقة .

(٢) والقلب اللغوي تركناه للابدال .

(٣) انظر كتاب (الاشتقاق) للأستاذ عبد الله أمين ، وكتاب (من أسرار العربية) للدكتور ابرهيم أنيس فهما من أفضل ما أُلِّف في هذا العصر .

الإبدال اللغوي والنحوي . ـ وليس الكلام على الإبدال واحداً عند علماء النحو واللغة ، بل انقسم بطبيعته الى نوعين بحسب المتكلمين فيه : الإبدال اللُّغوي ، وهو الذي يعنينا في هذه المقدّمة ، ونريد به ما جمعه رواة اللغة من تلك الألفاظ المتقاربة في صُورها ومعانيها ، وما التقطوه من اللغة ونوادرها من أفواه الاعراب في البوادي ، أو التي أخذوها عن الوافدين الى الحواضر ، ثم صنّفوها في رسائل لغوية فسّروها فيها واستشهدوا لها بشعر العرب ، فكانت هذه الرسائل في اللغة وخصائصها هي المادة الأولى لتكوّن بنية المعاجم الأولى ، وبها وبأشباهها حفظ الله لنا لغة الذكر الحكيم ولسان آبائنا العربي المبين .

وأمّا علماء النحو فقد بحثوا عمّا له علاقة بالقلب النحوي ، وجعلوه شاملاً للإعلال ونقل الحركات والافتعال ، ثم الإدغام على رأي من جعله في الابدال داخلا ؛ ويرى النحاة ان هذا الابدال قد يقع في كل حروف الابدال ، فقد قال أبو حيّان في شرح التسهيل قال شيخنا أبو الحسن ابن الصائغ ، قلّما تجد حرفاً إلا وقد جاء فيه البدل إلا نادراً ؛ ولكن ابن مالك في ألفيته جعل الحروف التي تبدل من غيرها إبدالاً مطّرداً شاملاً تسعة أحرف جمعها في قوله : (أحرفُ الابدال : هُديت مُوطيا) وجعل إبدالها من غير هذه الأحرف شاذّاً أو قليلاً ، وأبو علي في أماليه (١٨٦/١) يقول : إن حروف الابدال عند أهل النحو ١٢ حرفاً ، وجعلها ابن سيده في مخصّصه ١٣ وغيره ١٤ ، وتساهل صاحب التسهيل فجعل المطّردة والشاذّة ٢٢ حرفاً ، والمعوّل على الرأي الأوّل .

تعريف الإبدال اللغوي . – ويُريد به المحقّقون من علماء اللغة : إقامة حرف مكانَ حرف مع الابقاء على سائر أحرف الكلمة ، وبذلك قد تشترك الكلمتان أو الصورتان بحرفين أو أكثر ، ويبدل حرف منها بحرف آخر يتقاربان مخرجاً أو في المخرج والصفة معـاً ، ولا بد من شرط التقارب في المخرج بينهما[1] ، وذلك نحو : (قضب وقضم ، وقطع وقطم) فقـد اشترك الزوج الأول بحرفين منهما : (القاف والضاد) واختلف بالباء والميم ، وأحدهما مبدَلٌ من الآخر ، وكلاهما من مخرج واحد : أي هما حرفان شفهيّان ؛ وأما الزوج الثاني فقد اشتركت لفظتاه أو صورتاه بحرفين منهما (القاف والطاء) ، واختلف بالعين والميم : غيرَ أن العين حلقية والميم شفهية ، وذلك على شرطهم لا يمنع الإبدال ؛ وهُنا ترى أن حرف الإبدال في هٰذين الزوجين هو الثالث أي لام الفعل ، وقد يطرأ الإبدال على الحرف الأول وهو فاء الفعل نحو خبن وغبن ، أو على الثاني وهو عين الفعل نحو رسم ورشم ، وقد تكون اللفظتان رباعيتين كتَولج ودَولج ، والبدل في الحرف الأول منهما ، وقد تكونان خماسيتين والبدل في الحرف الثاني كجِرسام وجِلسام ، أو سُداسيّتين فعلين نحو : إعْرنكس الليلُ واعلنكس : إذا أظلم ، أو اسمين كجُرُبَّان السيف وجُلُبانه وهو قِرابه ؛ وابدال أبي الطيّب يشتمل كابدال ابن السكيت على هذه الأنواع كلها .

وقد يبدو جمال الابدال ويزداد معناه وضوحاً إذا جمعت الأفعال الثلاثية جمعاً يشبه السُّلالات اللغوية ، ونذكر على سبيل المثال منهـا

(١) هذا رأينا ، ونحن مجاراة لشيخنا أبي الطيب لم نلتزم ذلك في فوائتنا لكيـلا يختلف نَفَس الكتاب وأسلوبه بمخالفة طريقة مصنّفه ، وإن لم يمنعنا ذلك من إبداء رأينا في هذا المدخل صريحا .

ما يدل على أنواع القطع والحطم : قال صاحب سرّ الليال (ص ٥) : وأكثر ما يكون القلب والإبدال في الألفاظ الدالة على القطع والكسر والخَرق والهَدم والشق والفرق والتبديد : لأنها كلها من جنسٍ واحد ، وجلّها مأخوذ من حكاية صوت نحو : قتّ وقدّ وقضّ ، وقطّ وجدّ ، وجثّ وجذّ وجزّ ، وأذّ وهذّ ، وقذّ وقصّ ، وحذّ وحسّ ، وفتّ وفضّ ، وبتّ وبطّ ، وتبّ وسبّ ، ودقّ ودكّ ، وبكّ وفكّ ، وشكّ وشقّ ، وهتّ وهدّ ، واحمد فارس يرى بذلك أن أصل هذه الأفعال المضاعفة أصوات ، ولم يستبعد ابن جنيّ ذلك ورآه حسناً متقبّلًا ، ويرى أحمد أيضًا أن المضاعف قد يكون هو الأصل ثم يزاد عليه حرف ثالث لتنويع المعنى ، مع أن المضاعف من كل أفعال القطع التي أوردها مؤلف من ثلاثة أحرف ، فاذا زيد عليها حرف التنويع المعنويّ أصبح الفعلُ مؤلفاً من أربعة أحرف ، فالأقوى أن يكون الحرف الثالث من المجموعة الثلاثية مبدلاً من الحرف المشدّد الثالث ، إلاّ اذا اعتبرنا المضاعف من الثنائيّ على رأيٍ ، أو قلنا بالنظرية الثنائية التي تجعل كلا من أفعال القطع والهدم المذكورة وغيرها مؤلفاً من حرفين ثانيهما ساكن نحو (قطْ) وأنها كانت في الأصل ناشئة على رأي ابن جني عن محاكاة الأصوات الطبيعية ومع ذلك لا يكون المضاعف أصلًا ، فيقول أحمد فارس جواباً على ذلك (ص ٢٧) من سر الليال : فإن لم يسلّم المعارض بكون المضاعف هو الأصل ، فلا بدّ له من التسليم بأن العرب تعمّدت معنىً من المعاني ثم نسقت عليه الأفعال المتفقة حروف فائها وعينها نسقاً متفنناً فيه ، فتارة نسبته إلى المعقول ، وتارةً إلى المحسوس ، إلى أن يقول : وانظر أيضا الى (غم) وغمت وغمد وغمر وغمس وغمص وغمط وغمق وغمن وغمى ، فانها كلها تدلّ على الستر والتغطية مع اختلاف المعاني ، وبذلك تعلم أن هذا النسق لم يجرِ على ألسنة العرب عفواً ا ه :

أي إن زيادة الحرف الثالث على المجموعة الثنائية لم يجر على ألسنة العرب عفواً ، وإنما كان بقصد تنويع معاني المادة الواحدة ، وفي ذلك ما فيه من زيادة الثروة اللغوية ، وإذا جرينا على هذا القياس في فعل (قطّ) نرى ولادة قَطَعَ وقَطَمَ وقطبَ وقطفَ وقطلَ ، ومن (قَصّ) قَصَمَ وقصفَ وقصبَ وقصلَ وقصرَ ، والإبدال فيها قد طرأ على الحرف الثالث ، وقد يقع على فاء الفعل أي الحرف الأول منه نحو جَلَمَ وصَلَمَ وقلمَ وكلمَ ، إلى غير ذلك من النظائر ، وهي ضرب لطيف من الإبدال .

أما ابن جني في خصائصه (١٥٧/٢) فقد زاد على ذلك ففسر معاني هذه الأفعال المتعاقبة تفسيراً جعل به (أصوات الحروف على سمت الأحداث) مثال ذلك قولهم : خَضَمَ وقَضَمَ ، فالخضمُ : لأكل الرّطب كالبطّيخ والقثاء ، وما كان نحوهما من المأكول الرطب ، والقَضْم : للصوت اليابس نحو قَضَمَت الدابّة شَعيرَها ، وفي الخبر : قد يُدرَك الخَضمُ بالقَضم : أي قد يُدرك الرَّخاءُ بالشدة واللينُ بالشظَف ، وعليه قول أبي الدرداء : يَخضِمونَ ونقضمُ والموعد الله !

ذكرنا أن ابن جني لا يستنكر مذهب نشأة اللغة عن الأصوات فقد قال في الخصائص (٤٦/١) وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها انما هو من الأصوات المسموعات كدويّ الريح وحنين الرعد وخرير الماء ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبّل !

وكنا ذكرنا في تعريف الإبدال رأينا في وجوب تقارب المخارج والصفات في النظائر المتعاقبة ، ولكنّ ابن السكيت وأبا الطيّب اللغويّ وعبد الرحمن الزجاجيّ وكثيراً من رواة اللغة الأولين الذين ذكرناهم لا يشترطون ذلك ، فقد جمع المصنفون الأولون الثلاثة في كتبهم كلّ ما تقارب لفظاً وخطاً أو مبنًى ومعنًى ، وعدّوا

جميع ذلك من الحروف المتعاقبة وحسبوها كما قلنا سنةً من سُنن العرب ، وكذلك فعلتُ مجاراةً لهم فيما التقطته من الفوائت المتقاربة مبنىً ومعنى لكيلا تختلف روح الكتاب كما ذكرته ، ولتكون مباحث يستأنفها نتهاء اللغة بالدرس والتمحيص ، فيحلّون مشاكلها بإقامة الدليل ، على أن النظيرين هما متعاقبان أو لغتان مستقلتان حتمًا أو ترجيحًا ، أو ببيان ما طرأ عليها من لثغ أو تصحيف ، مع تعيين الأصل والفرع منهما ، وان في ذلك لربكا وبيلا ، ولبكا طويلا (١) ، وقد كان أبو الفتح ابن جني شيخ هذه الصّنعة يَودُّ فسحةً من العمر ليشرح إبدال ابن السكيت على منهجه المعروف (٢) ، ولوَددت مثله مهلةً من العمر لأشرح إبدال أبي الطيب ، أو فاتَ إبداله مما جمعتُه من كتب اللغة على طريقته ، مُمحِّصاً لها وباحثًا عن أصولها وفروعها وذاكراً آراء فقهاء اللغة فيها من المتقدمين والمحدثين .

كان البحث والنقد اللغويّان على عهد شيخي الإبدال أبي يوسف وأبي الطيّب فطيرين لم يختمرا ، ثم تزايد على مرّ الأيام تكاملًا ونضجا ، حتى جاء عصر أبي علي الفارسي وتلميذه أبي الفتح بن جني فاتسع مجال البحث اللغويّ والصوتي ، وما زال فقهاء اللغة يتعهّدون هذا الإبدال أو الاشتقاق الكبير بدراساتهم ومناظراتهم ، ويحاولون وضعَ مقاييس له إلى أن دخل القرن الخامس ، وظهر فيه مثل صاحب المحكم أبي الحسن ابن سيده الأندلسيّ (— ٤٥٨ هـ) ، وكان اطلع على كتاب تعاقب العربية لابن جني فوضع كأبي الفتح من المقاييس ما لا يزال بعضه صحيحًا ممحّصا .

إن كثيراً مما ذكره الشيخان في كتابيهما من النظائر المتعاقبة كان مُغْفلًا من العَزو إلى بيئة خاصّة أو قبيلة معروفة ، والمعاجم وإن روت لكل من اللفظين المتبادلين نُطقا خاصاً ، إلاّ أنها لم تذكر ما يرجّح

(١) كما يقول الفارياق في سر الليال (ص ٤) .
(٢) الخصائص (٢ / ٨٨) .

نطقاً على آخر ، فكأنهما متساويان نطقاً وفصاحة وشيوعاً ؛ وأمثال هذه النظائر هي التي أوحت لعلماء اللغة بفكرة الإبدال لأنهم حسبوا كما قلنا أن الإبدال في النطقين المتساويين من سنن العرب ، ولذلك لم يحاولوا البحث عن أصول هذه النظائر وفروعها بما طرأ عليها من تطوّر الأصوات .

ذلك ما جعل ابن السكيت وغيره يرون أن من الجائز أن يتكلم أبناء البيئة الواحدة بحرفين متبادلين ولهجتين مختلفتين ، قال يعقوب في إبداله : « حضرني أعرابيان من بني كلاب ، فقال أحدهما (انفحة) والآخر (منفحة) ، ثم افترقا على أن يسألا أشياخ بني كلاب ، فاتفق جماعة منهم على قول ذا ، وجماعة على قول ذا . » والألف حلقية والميم شفهية ، فهما متباعدان مخرجاً .

وتابع ابن سيده في مخصصه (١٩/١٤) ابن السكيت في إمكان المعاقبة في القبيلة الواحدة حيث يقول : وأذكر الآن شيئاً من المعاقبة وأري كيف تدخل الياء على الواو ، والواو على الياء من غير علّة (عند القبيلة الواحدة من العرب) ، وإمّا لافتراق القبيلتين في اللغتين ؛ فأما ما دخلت فيه الواو على الياء ، والياء على الواو لعلةٍ ، فلا حاجة إلى ذكره في هذا الكتاب : لأنه قانون من قوانين التصريف .

ومن المعاصرين الذين لا يستغربون أن تقع المعاقبة بين الحرفين أو اللهجتين المختلفتين في القبيلة الواحدة الأستاذ الرافعيّ في تاريخ آداب العرب (١٤٦/١) فقد قال ما نصه : « والمعاقبة إمّا أن تكون لغة عند القبيلة الواحدة ، أو تكون لافتراق القبيلتين في اللغتين . » كذلك يتعاقب أنصار اللغتين أو اللهجتين في القبيلة الواحدة إلى يوم الناس هذا ، كما انه لم ينقطع أنصار تعاقب اللغتين في القبيلتين المختلفتين كشيخنا الإمام أبي الطيّب اللغويّ ، فقد أيّد أنه ليس المراد بالإبدال أن تتعمّد العرب تعويض حرف من حرف ، وإنما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقة ، واستدلّ على ذلك

بأن قبيلة واحدة لا تتكلّم بكلمة طورًا مهموزة ، ولا بالصاد مرّة وبالسين أخرى ، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون . (١)

ويحدثنا أبو الطيب في هذا الكتاب (ص ٢٦١) ان ابا حاتم السجستاني قال : قلتُ لأم الهيثم (٢) هل تُبدل العرب من الجيم ياءً في شيء من الكلام ؟ فقالت : نعم ، ثم أنشدتني :

(إذا لم يكن فيكنّ ظِل ولا جنًى فأبعدكنّ الله من شَيَرات) !

فقول أم الهيثم (نعم) : أي إن في قبائل العرب من يقلب الجيم ياءً ، كما أن منهم من يقلب الياء جيمًا في العشّي فيقول (العشج) ، فليس في هذا الخبر ما ينافي قانون (اختلاف اللهجات باختلاف البيئات) ، فالشيرات لغة قبيلة أو طائفة من العرب ، والشجرةُ (والشجرات جمعها) لغة القرآن واكثر قبائل العرب .

وما زال البحث في النظائر ومناقشات فقهاء اللغة في تطوّر علمي حتى أظلّ القرن الخامس ، وظهر فيه مثل صاحب المحكم ابي الحسن ابن سيده (ـ ٤٥٨ هـ) الذي قسم الإبدال في مخصّصه (١٣ / ٢٧٤) الى بدل ، وما يجري مجرى البدل ، كما لو كانت اللفظتان المتقاربتان لغتين متعاقبتين ، قال مثالاً لما يجري مجرى البدل : فمن ذلك : دهدهتُ الحجر ودهديتُه زعم الفارسيّ أنهما لغتان : الهاء في تميم ، والياء في أهل العالية ، وزعم الفارسيّ أن تميمًا تهمز المنشار (المئشار) وغيرهم لا يهمزه ، وقالوا : جَمَسَ الودكُ وجمدَ ، وليس هذا بدلاً : أو لا ترى ان بعضهم يقول : جمس

---

(١) أنظر قوله بنصّه في المزهر (١ / ٤٦٠ ط البابي الحلبي) وفي آخر (صفة نسخة الإبدال) بعد هذا المدخل .

(٢) واسمها عُثيمة .

الودكُ وجمد الماءَ ، ولا يُقال : جمس الماء وجمد الودك ، وكان الاصمعيّ يخطّئ ذا الرمة في قوله :

(نغار إذا ما الرّوع أبدى على البُرى) ونَقري سَديف الشحم والماء جامسُ

ثم جاراه في ذلك ابنُ السّيد البطليوسيّ (— ٥٢٠ هـ) الذي رأى في الابدال ما يحاكي قول أبي الطيب اللغويّ ، وليس ما يمنع اطلاعه هو وابن سيده من قبله على كتاب أبي الطيب ورأيه ، فهو يقول في شرحه لفصيح ثعلب : « ليس الألف في الأرقان مبدلةً من الياء (اليرقان) ولكنّهما لغتان . » ؛ ثم يدلُّ على قوة النّقد اللغويّ في هـذا العصر ، ومناقشتهم في الإبدال ما ذكره ابن سيده (مخ ١٣/ ٢٧٣) بقوله :

« ومما هو عند قُطرب لغةٌ وليست بمضارَعة (إبدال) قولهم : سَغْسَغت وصَغْصغت وسَغْبلت وصَغبلت وسُوّاغ وصُوّاغ ، وأسْغَى وأصْغَى ، وأبو العباس أحمد بن يحيى يحمل ذلك كله على المضارعة والقلب (البدل) : ليكون العملُ من وجهٍ واحد ؛ قال أبو علي : « المضارعة في جميع ما سَكن فيه حرف الصّفير مع هذا الحيّز الذي تقدّم ذكره (كأسْغى وأصْغى) قياس مطّرد ، ولم يكن يرى قول قطرب في هذا النحو صوابا . »

وكان الفرّاء وهو إمام النحاة الكوفيين في عصره (— ٢٠٧ هـ) من كبار علماء اللغة أيضًا ، وله كتاب النوادر ، وفي ابدالنا هذا من ألفاظ المعاقبة التي رواها عنه أبو الطيب ما يدلُّ على صحة طبعٍ وثقوب رأي في الإبدال ، فهو يقول :

« إن نفرًا من بَلْعَنبر يُصَيّرون السينَ — إذا كانت مُقدَّمة وجاءت بعدها (ط . ق . غ . خ) — صادًا ، وذلك أن الطاء حرف تَضع فيه لسانَك في حنكك فينطبق الصوتُ فتنقلب السينُ صادًا صورتُها

صورة الطّاء ، واستَخفّوها ليكون المخرجُ واحِدا كما استخفوا الإدْغام ، فمن ذلك قولهم : الصّراط والسّراط ، قال : وهي بالصاد لغة قريش الأوّلين التي جاء بها الكتاب ، قال : وعامة العرب تجعلها سينا ؛ فأما ما حكاه الأصمعيّ من قراءة بعضهم (الزراط) بالزاي المخلصة فخطأ ، إنما سمع المعارضة فتوهمها زايا اهـ » فهذه الرواية تدلنا على ان قريشًا الأولين كانوا يلفظون (الصراط) بالصاد ، ثم أمسى احفادهم من قريش الآخرين ينطقونها بالسين ، فلقد يكون ما بين الأجداد والأحفاد من الزّمن ما يكفي لمثل هذا التبدّل الصّوتي ، واختلاف اللهجتين في البيئة الواحدة ممكن ومعقول على طريقة التطوّر الصوتي ، ويتبيّن أيضا أن الفرّاء كان من فقهاء اللغة الذين سبقوا غيرهم الى القول ضمنًا بنظريّة الأصل والفرع ، ونظريّة اللهجة الواحدة في البيئة الواحدة كما هو رأي أبي الطيّب في هذا الكتاب .

وقد احصى الحريريُّ في المقامة الحلبية الكلمات المتعاقبة من السين والصاد وما يجوز كتابته بهما معا ، والكاتب يختار الحرف الذي يهواه ونظمها بهذه الابيات الضابطة :

إن شئت بالسين فاكتب ما أبيّنه ... وإن تَشأ فهو بالصّادات يُكتتبُ
مَغْس وفقس ومسطار ومُمَلِس ... وسالغ وسراط الحق والسّقَب
والسامغان وسقر والسّويق ومِسْـــلاقٌ وعن كل هذا تُفصح الكتبُ

إن كلّ من بحث بعد الفرّاء عن تحوّل السين والصاد هو آخذ برأيه مع شيء من التفصيل والتعليل والتأصيل ؛ وهذا البطليوسي بعد ثلاثة قرون لم يزد على أحرف الفرّاء الأربعة غير حرف واحد وهو العين ، ولم يخصّ ذلك بقبيلة بلعنبر ، وصاغ هذا الرأي الذي محّصته القرون الثلاثة بصيغة القاعدة التالية :

«الحرف الأضعف يقلب الى الأقوى، ولا يقلب الأقوى الى الأضعف»

وشرحَ هذا بقوله مثال ذلك : كل سين وقع بعدها حرف من الحروف الخمسة (ق . خ . غ . ع . ط) جاز قلبها صادًا نحو سقر وصقر ، ويساقون ويصاقون ، وسخر منه وصخر من الهزء ، فأما الذي من الحجارة فبالصاد لا غير ؛ أمّا (يساقون) [1] ، فإنما جاز قلبها صادًا (يصاقون) لأن السين متسفّلة وأضعف من الصاد المستعلية ، والأضعف ينقلب إلى الأقوى ، ولأن السين أصل ، وإذا كانت الصاد أصلًا لم يجز قلبها سينا كصخر بمعنى الحجر ، فلا يجوز ان يقال فيه (سخر) : لأن الصاد أصل ، وهي أقوى من السين ، والأقوى لا ينقلب إلى الأوهى » .

ولو توفّر لسلفنا العربيّ الصالح من وسائل دراسة الأصوات السمعية والآلية وعلم أمراض الكلام ، والاطلاع على اللغات السامية ومقارنة اللغات القديمة والحديثة كما توفرت لفقهاء اللغة في ديار الغرب في هذا العصر ، لرأينا من حلّ مشكلات الإبدال واستبطان أسرار لغتنا العربية ما هو مَقْطع الصواب ؛ ومع أن هذه الوسائل العلمية قد أعوزتهم نراهم قد وضعوا من قوانين الإبدال ومقاييسه ما لا تنقضه أصول علم الأصوات أو التجويد الحديث ، وذلك كوجوب تقارب المخارج في الأصوات المتعاقبة ؛ بل إن علم الأصوات هذا المستقاة أصوله من الخليل بن أحمد وتلاميذه ، وأخذها عنهم أصحاب الأداء القرآني (التجويد) وعلماء البلاغة الذين بحثوا عن الفصاحة وعيوب الكلام ، قد استمرت دراساته تتكامل مع الزمن حتى جاء أبو علي الفارسي وتلميذه شيخ الصنعة الصوتية ، فقال منذ ألف سنة ما لم يتوصّل اليه علماء الأصوات إلا في عصرنا هذا : « إن أسماء الأصوات

(١) يشير إلى قوله تعالى : « يُجادلونَك في الحقّ بعد ما تَبَيَّنَ كأنما يُساقون الى الموتِ وهم يَنظرون » الآية ٦ من الأنفال .

هي أصول اللغة تشتق منها جميع الأفعال والمصادر والمشتقات ، وإن أسماء الأعيان يُشتقّ منها كما يشتق من أسماء الأصوات » .

وكان أبوالعباس المبرّد (ـ ٢٨٥ هـ) من السّابقين إلى القول بتعاقب النظائر فيما تقاربت مخارجها ، فذكر من صورها (مدح ومده) في قول النعمان ابن المنذر لحجل بن نضلة : « أردت أن تذيعه فمدهته » قال أبو العباس في كامله (٢ / ٩٧) : وقوله : (فمدهته) يريد مدحته ، فابدل من الحاء هاءً لقرب المخرج ، وبنو سعد بن زيد مناة بن تميم كذلك تقول ، ولخم ومن قاربها ، قال رؤبة : (لله درُّ الغانيات المُدَّهِ) يريد المُدَّح ، وفي هذه الأرجوزة : (بَرّاقَ أصْلاد الجبين الأَجْله) يريد : الأجلح ، والعرب تقول : جلح الرجل يجلح جَلحًا ، وجله يجله جلهًا والمعنى واحد .

إن رواية المبرد هذه ذات اللفظتين المتبادلتين (مدح ومده) قد نسب أبو العباس اللفظة الثانية (مده) إلى بني سعد ولخم ، ولم يَعزُ اللفظ الأول إلى بيئة أو قبيلة أخرى ، فكأنها لغة سائر العرب ، وكلّ ما كان من هذا القبيل يحكم عليه الحكم التالي :

« إذا كان المتعْزُوُّ من النظيرين خاصًا ، وغير المعزُوّ عامًّا ، كان هنالك لغتان لابدلان ، وكان المعزوّ أقلهما فصاحةً واستعمالا » .

كذلك كان ابن جنيّ ممن لا يرى القلب والإبدال إلا في النظائر المتقاربة المخارج فهو يقول في سر الصناعة (١ / ١٩٧) : إن اصل القلب (البدل) في الحروف إنما هو فيما تقارب منها ، وذلك : الدّال والطّاءُ والتّاءُ ، والذال والظاء والثاء ، والهاء والهمزة ، والميم والنون ، وغير ذلك مما تدانت مخارجه .

أمّا أبو الحسن بن سيده فقد قال في المخصّص (١٣ / ٢٧٤) حاذياً حذو أبي الفتح ابن جني في اشتراط وحدة المخرج ، والقول باللغتين ما نصه : « أمّا ما كان جاريًا على مقاييس الإبدال التي أبنت فهو الذي يسمى بدلاً ، وذلك كابدال العين من الهمزة والهمزة من العين ، والهاء من الحاء

والحاء من الهاء ، والقاف من الكاف والكاف من القاف ، والثاء من الفاء والفاء من الثاء ، والباء من الميم والميم من الباء ؛ فأمّا مالم يتقارب مخرجاه ألبتّةَ فقيل على حرفين غير متقاربين فلا يُسمى بدلا ، وذلك كابدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق . » وأتى لذلك بأمثلة منها :

الأصمعيُّ : آديته على كذا وأعديته : قوّيته وأعنته ، وقد استأديت الأميرَ على فلان أي استعديته ؛ ويقال : موت زُؤاف وذؤاف ، وزعاف وذعاف : إذا كان يُعجل القتل ، وقال ابن السكيت : لألّني يُريد لعلّني .

ثم استمرّ الخلاف اللغوي في اشتراط تقارب المخارج في النظائر المتعاقبة إلى عهد قريب ، فنرى مثلًا في مادة (صرأ) من التاج : قال الأخفش : ومن غريب ما أبدلوه أنهم قالوا في صرح صرأ ، قال شيخنا (محمد بن الطيب الفاسي) وقال بعض أئمّة الصرف : إن حروف الحلق ينوب بعضها عن بعض ، وعَدُّوا (صرأ) في صرح » .

إشارة أصحاب المعاجم الى الابدال . — وكثيراً ما رأينا أصحاب المعاجم يشرحون اللفظة بأختها مخرجًا ، وكان المجد اللغوي في قاموسه المحيط من اكثرهم التزامًا لذلك ، وقد انتبه أحمد فارس فجمع في سر لياليه من القاموس الذي رتّبه عليه ومن كتب اللغة كلَّ ما كان من هذا القبيل ، فقد قال ما نصه : (شجَّ رأسه) من بابي ضرب ونصر : كسره ، و — البحر شقّه ، و — المفازة قطعها ، و — الشراب : مزجه ؛ ثم قال : (**وتفسير الشجِّ بالشقّ إشارة إلى الإبدال**) ، وجاء في القاموس مما يدلُّ على ذلك قوله في مادة (الحوس) : الحَوْسُ الجَوس ليدلَّ على أنها نظيران ، ويقول : أرخس السعرَ أرخصه ، ولم يشرح أرخس بأرخص إلاّ ليشير إلى تعاقبها وأنها أختان ، وقال : والتشاخز التناخس ، والشخز

والشخس : الاضطراب ، وقال : كَشَّ الرجلُ : سارَ ، لغةٌ في دَشَّ ، والضَّنْفِس كالضَّنْبث زنةً ومعنىً ، وهو كزِبْرِج : الضعيف البَطش السريع الانكسار .

بعض قواعد الإبدال . — لخّصتها على سبيل المثال من المخصص والخصائص فمن المخصّص (١٣ / ٢٨٢) :

(كلّ شين ساكنة قبل دال نحو (أَشْدق) ، فهي في الهمس والرخاوة كالصاد والسين ، فتضارَع به الزايُ ، فيقال (أزدق) ، والبيان فيها أعرف وأكثر) وهذا عربيّ كثير .

(كل جيم ساكنة قبل تاء تنقلب دالاً : لأنها مجهورتان ، فيقال في اجتمعوا (إجدمعوا) ، وفي اجترأوا (إجدرأوا) ، ولا يجوز ان تجعلها زايا خالصةً ، ولا الشينَ : لأنها ليسا من مخرجها) .

(كلُّ فعل مضاعف كحَسَّ ومَدَّ وظَنَّ وتَظَنَّنَ يجوز أن يُبدلوا من أحد الحرفين المضاعَفين ياءً ، فيقال من حَسَسْتُ ومددتُ وظننت : حسَّيت ومدَّيتُ وظنّيتُ) .

وليس ما في هذه القاعدة بمطرد عند سيبويه فقد قال في الكتاب [1] مفسّرا لهذه القاعدة ما نصه : « هذا باب ما شذّ فأُبدل مكان اللام ياءً لكراهية التضعيف وليس بمطرد ، وذلك قولك تسرّيت وتَظنّيت وتقصّيتُ من تسرّر وتظنّن وتقَصَّصَ ؛ وقيل في قوله تعالى (إلى طعامك وشرابك لم يتَسنَّهْ) من أنّ تقديره (لم يتَسنَّن) ، فقُلبت النون الثانية ياءً ، ثم قُلبت ألفًا لتطرّفها وانفتاح ما قبلها ، وحذفها للجزم ،

(١) ٢ / ٤٠١

ثمّ جعل مكانها هاءً للوقف ، وقال العجاج[1]:(تقضّي البازي إذا البازي كسر) يريد تقضّضه من الانقضاض ، ويقال تقصّيت من القصّة ، وهذا كله شاذّ : لأنا لانقول في تحبّب : تحبّى ، ولا في تحسّس تحسّى ، وكل هذا التضعيف فيه عربيّ كثير » اهـ .

وهذه بعض أمثلة من الخصائص (٨٢/٢) :

(متى أمكن أن يكون الحرفان جميعًا أصلين ، كلٌّ واحدٍ منهما قائمٌ برأسه لم يَسُغ العُدول عن الحكم بذلك ، فإن دَلّ دالٌّ ، أو دَعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه عُمِل بموجب الدّلالة ، وصِيرَ إلى مقتضى الصّنعة) .

ثم شرح هذه القاعدة بالأمثلة التالية : من ذلك قولهم : هتلت السماءُ وهتّنت) هما أصلان[2] ، ألا تراهما متساويين في التصرّف ، يقولون : هتّنت السماء تهتِن تهتاناً ، وهتلت تهتِل تهتالاً ، وهي سحائب هُتّن ، قال امرؤ القيس :

فسحّت دموعي في الرداء كأنها ... كلًى من شعيب ذات سحٍّ وتهتانِ

---

(١) يمدح عمر بن عُبيد الله بن معمر القرشيّ ، والشطر قبله :

(إذا الكرامُ ابتدروا الباعَ بدَرْ)

ضرب الباع مثلاً للكرم ، و (بدر) سبق : اي سبقهم الممدوح وتقضّض تقضّض البازي ، وبذلك تكون (تقضّي) منصوبةً بفعل مضمر .

(٢) وهذا لا يمنع أن يكون أحدهما متحوّلاً عن الأصل الأول ، وقد يكون جاهلياً ثم تأصّل الحرف الثاني في الاسلام ، وان تساويهما في التصرف قد يكون دليلاً على أن النظيرين أخوان من أصل قديم واحد ، واعتبرنا ذلك في تفسير النظائر بالنظر الى التطور الصوتي الذي قد يحدث في القبيلة الكبيرة .

وقال العجّاج :

عَزَّ منها وهي مُعطي الإسْهالْ ضَرْبُ السَّواري متنَه بالتَّهتالْ

إن هذه القاعدة التي ذكرها ابن جنّي لصحيحةٌ : فإن الصورتين في المثال الذي أورده نطقين مختلفين ، وهما متساويان في الفصاحة والدَّوَران ، وليس في كتب اللغة ما يُشير إلى اختلافهما في البيئة أو القبيلة ، أو إلى انفراد إحدى الصورتين ببيئة خاصة أو قبيلة معروفة ؛ بيد أن بعض العصريّين من أساتذة اللغة لا يَرون مع ذلك التهتانَ والتهتال متساويين في الأصالة : ذلك أن (التهتان) أكثر شواهد في كتب اللغة من (التهتال) التي لا نجد لها غير شاهد واحد للعجّاج في الخصائص ، وإبدال ابن السكيت واللسان ، وكثرة الشواهد مما يُرجّح لديهم أصالة التهتان وفرعيّة التهتال .

ومما اهتدى إليه ابن جني من المقاييس الصحيحة : (أن كثرة الاستعمال والدوران على اللسان ، والحكم على الأكثر لا على الأقل) مما يُميّز الأصل من الفرع من الصورتين المتعاقبتين ، يدلُّ على ذلك قوله في الخصائص (٢/ ٨٤) :

وإنما قولهم : (ما قامَ زيد بَلْ عمرو وبَنْ عمرو) ، فالنون بدل من اللام : ألا ترى إلى كثرة استعمال (بَلْ) وقلة استعمال (بن) ، والحكم على الأكثر لا على الأقل ، هذا هو الظاهر من أمره ، ولستُ مع هذا أدفع أن يكون (بن) لغة قائمة برأسها ، وكذلك قولهم : (رجل خامل وخامن) النون بدل من اللام : ألا ترى أنه أكثر ، وأن الفعل عليه تَصَرَّفَ ، وذلك قولهم : خمل يخمل خمولا ، إلى أن قال في الإبدال : فعلى هذا ينبغي أن يُتلقّى ما يَرد من حديث الإبدال ، إن كان هناك إبدال ، او اعتقاد اصلية الحرفين إن كانا اصلين (لغتين) ثم يقول (ص ٨٨) بعد ان تمنّى شرح إبدال يعقوب على طريقته في القياس ما نصّه : انا نعتقد أن معرفة هذه الحال (القياس) فيه أمثلُ من معرفة

عشرة امثال لغته ، وذلك ان مسألة واحدة من القياس أَنْبلُ وأَنْبَه من كتاب لغةٍ عند عيون الناس .

قاعدة صحيحة في الإبدال . — وجاء في سرّ الليال (ص ٣٩٩) ما نصه : عبارة الصحاح : مَثّ يده يَمُثّها إذا مسحها بمنديل او حشيش : لغةٌ وعندي أنه ليس لغة ، وإلا لكان (مَسّ) أقربَ إليه ، (أيْ من مَثّ) وهذا الرأي الصحيح قد يسبك بالقاعدة التالية :

(كلُّ لفظين قيل إنّهما لغتان (كمثّ ومَسّ) ، وكان هنالك فعل ليس بمعناهما (كمسّ) ، وهو اقرب مخرجاً إلى احدهما (مثّ) دلّ ذلك على انهما ليسا بلغتين ، وان الأقوى ان يكونا بدلين) .

أمثلة لما هما لغتان . — ذكرنا ان كتاب الإبدال لأبي الطيّب لا يلتزم اتحاد المخارج في أبداله ، فقد يكون مخرجا الحرفين متباعدين وهما في رأيه بدلان ، مثال ذلك (الجيم والحاء) فقد علّقنا عليهما (ص ٢٠٥) بأن الجيم شجرية مجهورة ، والحاء حلقية مهموسة تباعدتا مخرجاً وصفةً ، وهو من مسوّغات الابدال : أي في رأي أبي الطيب وابن السكيت وغيرهما ممن لا يرى تباعد المخارج مانعاً من الابدال ، وقد فسّرنا هذا الكتاب على رأي شيخنا المصنف ، وإن كنا نرى كما بيّناه أن تباعد المخارج واختلاف البيئة والقبيلة أو اختلاف المعنى بين الكلمتين المتشابهتين كلُّ ذلك من موانع الابدال ، ففي مثل : (أجمّ الأمر وأحمّ الأمر) (ص ٢٠٦) أي رابطة صوتية بيّنة بينهما ؟ ، فهما لغتان لا بدلان ، ومثلهما (جرف وحرف) ففي إبدالنا هذا (ص ٢٠٩) : ويقال : قد حُرِف في ماله حَرْفةً وجُرِف جَرفةً : إذا ذهب شيء من ماله ، ومثلهما المِجارَف والمحارَف ، فالأولى من الجَرف والثانية كما ذكر ابن المكرم في اللسان (حرف):

وقد حورف كسبُ فلان : إذا شُدِّد عليه وضُيِّق في معاشه كأنه مِيل برزقه عنه : من الانحراف عن الشيء وهو الميل عنه ، فشتانَ ما الجَرف والحَرف ، والانجراف والانحراف ، فالحرفان مختلفان مخرجاً : لأن الجيم مجهورةٌ والحاء مهموسةٌ ، والجيم من حروف القلقلة وليست الحاء منها ؛ ومثلهما قولهم : (ما في الدار دِبِّيجٌ) كسكّين أي أحد و (ما في الدار دبيج) كذلك ، فلا ترابط صوتي واضح بين اللفظتين ، فكل منهما صورة مستقلة عن الاخرى ، وقد جاء في الصحاح (دبج) : وشكّ ابو عبيد في الجيم والحاء ، وسألت عنه بالبادية جماعة من الاعراب فقالوا : (ما بالدار دبيّ) وما زادوني على ذلك ، ووجدت بخط ابي موسى الحامض : (ما في الدار دبيج) موقّع بالجيم عن ثعلب .اهـ . واشرنا فيما جمعناه من فوائت هـذا الباب إلى نقد أبي عبيد ، ومثل ذلك سائر الحروف المتباعدة مخرجا كالطاء والجيم او الفاء والقاف أو اللام والدال ، ولا حاجة إلى التمثيل فقد يخرج بنا إلى التطويل .

ومن الأمثلة على ما هما لغتان لا بدلان : قولهم : ضارهُ يَضيرهُ ويَضورهُ ، وقد ذكر الكسائي أنه سمع بعض أهل العالية يقول : لا ينفعني ذلك ولا يضورني ؛ ويقال : إن فلاناً لسريعُ الأوبة ، وقوم يحوّلون الواو ياء فيقولون (سريع الأيبة) ، وقوم يقولون : لاتَهُ يليته ، ولغة أخرى يلوتُه ، ومعناهما حَبسه عن وجهه ؛ وحُكي ما أَعيجُ من كلامه بشيء : أي ما أعبأ به ، وبنو أسد يقولون : ما اعوج بكلامه : أي ما التفت إليه ، أخذوه من عُجت الناقةَ ؛ وقالوا : تَهيّر الجُرف ، وأكثرهم : تهوّر الجُرف .

ومن أمثلة اختلاف اللغتين والمعاقبه في اللام قولهُم : نمى ينمو وينمي ، قال أحمد بن يحيى : الفصحى (يَنمي) بالياء ، وقال الكسائي : لم أسمع (ينمو) بالواو إلاّ من أخوين من بني سُليم قلت : وبهما يبدأ التطور

الصوتي الذي يعمل عمله الدائم ، ومنها قول ابن السكيت : قال أهل العالية (القُصوى) وأهل نجد (القصيا) .

أمثلة على اختلاف المعنى الناتج من الإبدال . — قال ابن سيده في المخصص (١٤/٢٦) (بابُ ما يجيء بالواو فيكون له معنى ، فإذا جاء بالياء كان له معنى آخر) ابن السكيت : حَنَتْ عليه : عطفت عليه ، وقد حَنَيْتُ ظهري وحَنَيت العُود ؛ ويقال : قَرَوتُ الأرْضَ : إذا تتبعتَها تخرج من أرض إلى أرض قَرْوًا ، وقَرَيتُ الضَّيف قِرًى وقِراءً ، وقد سَرَوْت ثوبي سَرْوًا : إذا ألقيتَه ، وسريتُ ليلًا وأسْريت : إذا سرتَ ليلًا ؛

تخفيف الهمزة البدلي[1] . — هو ما خُفِّفت من أحد النظيرين همزتُه ولم يختلف معناه كالنبيء والنبيّ ، فهو من نبأتُ أي أخبرتُ ، لأن النبيء أنبأ عن الله وأنبىء ، قال الفرّاء : ومن زعم أن أصله غير الهمز لأنه من النبوة ، وهي الارتفاع من الأرض : أي إنه شُرِّف على سائر الخلق فقد أخطأ ، قال : وليس أحدٌ من العرب إلا وهو يقول : تنبّأ مُسَيْلمةُ ، وبعضهم يقول تنبّى مسيلمة ، كما أن (سنة) لما كانت من الهاء عند قوم ، ومن الواو عند آخرين قالوا : سَنَهات وسَنَوات ، فكذلك (النبيُّ) لو كان من النبوة ومن النبأ يُهمَز مرَّة ولا يُهمز أخرى ؛ ومما يدل أن تخفيفه بدليّ ، ليس على القياس قولهم في جمعه أنبياء ، فجمعوه جمعَ ما لا يكون واحده إلا معتلًا نحو غنيّ وأغنياء وشَقيّ وأشقياء ؛ وزعم سيبويه أن بعضَ أهل الحجاز يَهمزون (النبيء) وهي لغة رديئة ، ولم يستردئها سيبويه ذهاباً منه إلى أن أصله غير الهمز ، وإنما استردأها من حيث كثرةُ استعمال الجمهور من العرب لها

(١) إن هذه التسمية من وضع ابن سيده في مخصصه (١٤ / ٢) وعليه اعتمدنا في الكلام على التخفيف البدلي .

من غير همز ؛ وقال أبو عبيد قال يونس : أهل مكة يخالفون غيرَهم من العرب يهمزون النبيءَ والبريئة ، وذلك ثقيل في الكلام .

قلت : ويدلّ قول يونس هذا أن جمهرة العرب تقول النبيّ والبريّة ، وأن همزهما ثقيل في الكلام : أي إن أصل هاتين اللفظتين المتبادلتين هو (النبيء) مهموزاً ، ثم عَراه قانون التطوّر الصوتي ، واتّباع الإنسان الأيسر على اللسان ، فليّنت الهمزة فأمست بالتخفيف ياءً ، كما قالوا في بئر بير ، وفي رأس وفأس راس وفاس ، وبذلك كانت لفظة (النبيّ) غير مهموزة هي الفرع .

ومثل ذلك قولهم المَراةُ والكماة في المرأة والكمأة ، وقولهم : أرجيت في أرجأت ، وقُرِئ : (وآخرون مُرْجَوْن لأمر الله) مثل مُعْطَون . ومنه قولهم : خَبَأ المتاع وخباه يَخباه بمعنى واحد فهو مخبيٌّ ، فجعل الهمزة ياء للتخفيف ، وقد تتحوّل واوًا نحو رَفَأتُ ورَفَوْتُ الثوبَ ، وهذا كله من التخفيف البدليّ : لأن اللفظين المتبادلين في هذه الأمثلة كلها بمعنى واحد .

أما إذا اختلف معنى المهموز من غيره فلا يكون بدلاً نحو : رَوَّأتُ في الأمرِ وَرويّتُ رأسي بالدّهن ، وتمَلّأت من الطعام ، وتملّيتُ من العيش : إذا عشت مليًّا ، وتخطّأت له في هذه المسألة ، وتخطّيت القومَ : من الخطوة ، وخبأ الشيء يخبأه خَبْأً ، وخَبَت النار تخبو خُبُوًّا : إذا ذهب لهبها ، وما اشبه ذلك مما إذا هُمز كان له معنًى ، فإذا لم يهمز كان له معنى آخر ، فهذا ليس من البدل شيء .

القلب الشعريّ . — إن كلّ ما لم يُسمع في فصيح القول من الإبدال الشعريّ ، وجاز للشاعر قلبُه لصحة الوزن لا يُعدّ من الإبدال : وذلك كالهمزة المتحركة قبلَها فتحة تُقلب ألفاً نحو : هَنَاكَ الله :

وهَنَأَك الله ! أو كالهمزة المتحركة قبلها كسرة تُقلب ياءً في الشعر لا في النثر كقول الفرزدق :

راحت بمَسْلَمة البغالُ عشيةً فارعَيْ فزارةُ لا هَنَاكِ المرتَعُ

قال علي بن سيده (مخ ١٤/١٤) : وإنما كان الوجهُ أن يُقال (لا هَنَأَك المرتع) فأبدل الالف مكانها ، ولو جعلها بينَ بينَ لانكسر : لان الهمزة بينَ بينَ متحركة ، ولا يتزن البيت بحرف متحرك ، وقال حسان :

سَأَلَتْ هُزَيْلٌ رسولَ الله فاحشةً ضلَّت هزيلٌ بما قالت ولم تُصبِ

وقال القُرشيّ ، وقيل إنه لبعض السَّهْميين :

سالتاني الطلاقَ أن راقاني قلَّ مالي ، قد جئتُماني بنُكْرِ

فهؤلاء ليسَ من لغتهم : سلتُ ولا يَسَالُ ، وبلغنا أن (سلتَ تَسالُ) لغة ، واكثر العرب يقولون : سأل يسأل بالهمز ، ومنهم من يقول : سال يسال كما يقول خاف يخاف ، والالف منقلبة من الواو ، وقد حُكي هما يتساوَيان ، والشاهد أن هذين الشاعرين لغتهما (سأل) بالهمز ، وإنما اضطر إلى تحويله مثل (لا هناكَ المرتعُ) اهـ .

تعاقب الفصحى والعامية . — كان التحوّل الصوتي — كما بيّناه — في الجاهلية وصدر الاسلام يجعل على كرّ الليالي الكلمة المتحوّلة كلمتين أو صورتين ، إن كانتا على الرأي الأرجح من مخرج واحد وبمعنى واحد أو متقارب ، ولا يرون عكس ذلك من مسوّغات الإبدال ، وقد يكون التطور تحسينيًّا فتصبح الكلمة فصيحة ولفصاحتها تميل النفوس الى استعمالها ، ومن ذلك ما جاء في ترجمة (جن) من اللسان : قالت امرأة عبد الله بن مسعود له : « أَجِنَّكَ من أصحاب محمّد » قال أبو عبيد قال الكسائي وغيره معناه : من أَجل أنكَ » فتركت (من) ، والعرب

تفعل ذلك مع (أَجل) كما يقال : فعلت ذلك أجلكَ بمعنى من أجلك ، وقولها (أجِنّك) حذفت الألف واللام اختصارًا ، وأُلقيت فتحة الهمزة على الميم كما قال الله (لكنّا هو الله ربّي) ، قال الشاعر :

أجنّك عندي أحسنُ الناس كلهم وأنّك ذاتُ الخالِ والحبراتِ

ولو أَن دمشقيةً من الاقليم الشمالي أرادت اليوم أَن تقول لبعلها قول امرأة ابن مسعود لبعلها لقالت ، وحذف الاستفهام جائز : (شِنّك من أصحاب جمال تقول هذا المقال !) ، وقد قيلت في عصر الفصاحة فأصبحت فصيحة بكثرة استعمالها ، والابدال بين الشين والجيم عربيّ قديم ، فقد روى أبو الطيّب اللغويّ عن الفراء في هذا الكتاب (ص ٢٢٦) أنه يقال : جمخ وشمخ بأنفه ، وعن ابي عمرو الشيباني : أرّج وأرّش على القوم تأريجًا وتأريشًا ، وفي سر الصناعة (١ / ٥٦) : وأمّا الشين التي كالجيم فهي التي يقلّ تفشّيها واستطالتها ، وتتراجع قليلا متصعّدةً نحو الجيم كقولهم في أَشدق (أَجــدق) : لأن الدال حرف مجهور شديد والجيم مجهور شديد ، والشين مهموس رخو ، فهذا ضدّ الدال بالهمس والرخاوة فقرّبوها من لفظ الجيم انتهى .

فاذا ما وقع في العامية شيء منه أَو من القلب المكانيّ (كجذب وجبذ) ، فقد يكون اللفظان المتقاربان مخرجا في بيئتين عربيتين كأن تكون إحداهما حجازية مثلًا والأخرى يمانيّة ، فتطوّرت احداهمــا وتقلّبت بتقلب الأيام ، ومن ذلك قول العامة في دمشق وكثير من بلاد الشام ولبنان من باب القلب (حفر الأرض) وأهل بيروت وفلسطين يقولون : فحرها ، وعلمت أن بعض اللبنانيين يقولون لباكورة التين (الدّيثور) بالثاء ، وغيرهم يقول (الديفور) بالفاء[1] ، ولا يقول الدمشقي بسليقته (فحر الأرض) ، ولا البيروتي يقول حفرها إلا محاكاة لمخاطبه وتعمّدا ، والابدال بين الثاء والفاء عربيّ كثير ، فقد روى شيخنا أبو الطيب اللغويّ

(١) وفي غوطة دمشق صنف من التين يقال لباكورته : الدّيفوري .

في كتابه هذا (١٨٢) أنه يقال : ثلغ رأسه ثلغاً ، وفلغه فلغا : إذا شدخه ، وتقول : جلست في فناء داري وثناء داري ، والعامةُ في جميع الامم تُؤثر النطق بما هو أخف على اللسان جريًا مع سنة إيثار الأسهل ، ويصعب عليهم إخراج الحروف اللثويّة من مخارجها ، فتراهم يبدلون الظاء ضادًا (١) ، والذال دالاً ، والثاء تاءً فيقولون : أبو ضاهر ، وهذا الولد لا يحب التّوم ، والنجار يقول : المتْأب بدل المثقب ، وفيه ابدالان : التاء بدل الثاء المثلّثة ، والهمزة بدلَ القاف ، كما يقولون (آل) بدل قال ، وآل بمعنى رجع . وبدل قريب أَريب ، والأريب العاقل ، وبدل القديم الأديم وهو الجلد ، وبدل القُدرة الأُدرة وهي الفتق المعروف وهلم جرًا مما يفسد اللغة العربية ويشوه محاسنها .

هذا ما أجملناه من آراء علمائنا في الإبدال ، وفي بعض الأصول والقواعد المؤيدة بالشواهد ، مما يدلُّ على مبلغ إخلاصهم العلميّ مع فرط التثبت والتّروي قبل إطلاق الأحكام على الفرع والأصل ، أو على تقدير زمن التطوّر الصوتي ، لا يفعلون ذلك إلا بشواهد صحيحة وسلطان من البرهان ، ومن ذلك أن شيخنا أبا الطيب في هذا الكتاب كان من تثبتّه في اللغة يهمل ما لم يتحقق سماعه من العرب ، فقد قال في باب (التاء والدال) ونذكره على سبيل المثال : « ويقال بعد هيتاء من الليل مثلها ، ولم تسمع هذه اللفظة بالدال » فلم يثبتها ، ولو انها سمعت لقال « وهيداء من الليل » وقال أبو الحسن عليّ بن سيده في مخصصه (٢٨٩/١٣) في بحث (كِلا وكُلّ) : لا يجوز أن نجعل الألف من (كلا) بدلاً من إحدى اللامين في (كلّ) إلا بثَبَت ، ولا دليل على ذلك : هذا مذهب سيبويه (٢).

التعاقب بين العربية واللغات الساميّة. — ويشبه هذا التعاقب بين الفصحى والعاميّة ذلك التعاقب بينها وبين اللغات السامية ، وهنا يسهل

(١) وهي لُغَيّة قديمة .
(٢) الكتاب (٢ / ٤٠١) .

تعيين الأصل والفرع ، إن اعتبرنا العربية العَرباء الأولى أمّ اللغات السامية الأخرى ، وهو رأي الراسخين من علماء الشعوب واللغات ، وعلى كرّ العصور والدهور تحوّل كثير من حروف هذه اللغات ،ومن ذلك على سبيل المثال : أن الباء الآرامية تنقلب إلى الميم في العربية ، وتنقلب الجيم في السريانية إلى ضاد في العربية ، وإلى صاد وسين في العبرانية ، والذال العربية تنقلب زايًا في العبرانية ، والطاء السريانية قد تنقلب إلى التاء العربية كما ان التاء العربية تنقلب طاء في السريانية ؛ واللام السريانية تنقلب إلى نون في العربية فالصَّدم في السريانية هو الصنم في العربية ، والصاد السريانية تنقلب إلى الضاد العربية ، والتاء السريانية تنوب عن التاء العربية ، وهكذا نرى ان سنّة التحوّل الصوتي مستمرة على عملها البطيء ما بين اللغات الساميّة وغيرها .

تولد اللغات من اللثغات . — والتحوّل الصوتي يجري مترقياً ومتدنياً، فقد يصقل اللفظةَ الجاهلية الأصلية ، فتصبح في فجر الإسلام حسب ناموس بقاء الاسهل من لغة قريش الفصحى التي نزل بها القرآن ، وبذلك يكون التحوّل الصوتي عاملًا من عوامل تهذيب اللغة وترقيها ؛ وقد يكون من أسباب تدنيها بأن يكون أب القبيلة الاول مثلًا ألثغ بتشوّه تركيب أسنانه أو نقص بعضها مثلًا ، فيسمعه أبناؤه الصغار فيسري بالاعتياد داء أبيهم إليهم ، وقد يتكاثر أولاده وأحفاده ويصبحون كأبيهم الاول شيوخاً أولي قوة وعصبيّة ، فتنتشر بهم آفة اللثغة في القبيلة ، وأكثر قبائل العرب من أبناء أب واحد غابرًا كبني قريش وتميم وغسّان ، وحاضرًا كبني حسن وولد علي من الاقليم الشمالي ، وبني عزّام في مصر والشام ، وبذلك تمسي تلك اللثغة المتوارثة لغة مستقلة لتلك القبيلة ، ومنها قولهم[1] : تسغبل الدرع أي تسربلها ، ومَرث الدواء ومغثه ، والراية والغاية ، والراوية والغاوية ، وهي لثغة الغين .

(١) الجاسوس (٨٢) .

وقد اهتمّ أطباء أمراض اللسان في عصرنا هـذا بعاهة اللثغ Sigmatisme ، ويعدونها من أمراض الكلام . وأصبح للمدارس في البلاد الناهضة أطباء لتقويم ألسنة المصابين بأمراض الكلام ، فلا يزالون يعالجون كل طفل على حدة بحسب مرضه اللساني حتى يقوّموا لسانه الاعوج ، وباللثغ قد تحول اللسان من النطق بالسين إلى الثاء كالطاس والطاث ، أو التاء أو الدال أو الشين ، أو من الرّاء إلى الغين او اللام او الياء ، او من حرف إلى آخر ؛ وعلم التجويد عند قرائنا يقوم مقام علم الاصوات اللغوية في هذا العصر ، ويستعينون لذلك بدراسة مخارج الحروف وآفات اللسان ، وأسماؤها تدل على تحديد الفروق الفسلجية بينها ، ولا نقول إنها بلغت من الدّقة باستعمال الاذن ما بلغه منها علم الاصوات بالوسائل الآلية Iistrumentale phonétique ، فإن الاحكام الصحيحة هي ما روعيت فيها النسبيّة ، واختلفت باختلاف الايام .

وذكروا من انواع تلك اللّثغات المَرضيّة او الاعتيادية : اللكنة ، والرُّتّة واللّيَغ والخَنَّة واللّفف ، وهو مَضغ الكلام بتداخل الحروف كما يمضغ الانكليز لغتهم ، والثّعثعة والغمغمة والطمطمة ، والحُكلة والعُقلة والحُبسة ، والبأبأة والتمتمة (التأتأة) والثأثأة والفأفأة بترديد الباء والتاء والثاء والفاء .

ولثغة الثاء التي تنقلب السين إليها معروفة عند علماء الأصوات [1] باسم Interdentalis sigmatisme ، وسببها عندهم بُروز طرف اللسان من الفم متخذاً طريقه بين الأسنان الأمامية وتسمى اللثغة السينية ، ومن أشكالها قلب السين شيناً ، واسمها العلميّ Lateral sigmatisme وتعرف باللثغة الشينية ،والإبدال بين السين والشين معروف في العربية والعبرانية ، فما هو بالسين في العربية (سلام) هو بالشين في العبرانية (شلوم) ، وقد ألف

(١) أمراض الكلام للدكتور مصطفى فهمي مبحث التأتأة ص ١١١

المجد اللغوي" رسالة في هذا الإبدال الشيني سماها (تحبير الموشّين في الإبدال بين السين والشين) ، وقد يكون بعض نظائرها البدلية ناشئةً عن هذه اللثغة الشينية .

وقد تبدل السين في بعض الحالات تاءً كالناس والنات ، وهو مايسمونه (الوتم) فإن كان مصدره اللثغة السينية فهو من البدل ، وإلا كان اللفظان المتعاقبان لغتين مستقلتين ؛ وقد تبدل السين تاءً أو سيناً ، ويطلق على هذا التبادل في علم الكلام المرضي" إسم الإبدال السيني Adentalis sigmatisme وفي بعض الحالات المرضية الأخرى قد يستعين المريض بالتجاويف الانفية ويحاول إخراج حرف السين وهي حالة شبيهة بالخُنّة وتسمى Nasal sigmatisme .

ولثغة السين أو الثأثأة من أكثر عيوب النطق في الأطفال ، وهم في مرحلة الإثغار ، وبحسن معالجتهم يعود اليهم النطق الصحيح بحروف الصفير Sibilant والسين منها ، والذين كبروا ولم تفارقهم هذه اللثغة ، فهم الذين لم تسعدهم المعالجة وهم صغار من هذه الآفة اللسانية .

ويتبيّن من ذلك كله أن مردّ هذه اللثغات السينية عدم انتظام تكوين الأسنان ، ولا تنجح معالجتها قبل أن يعالجها طبيب الأسنان ؛ وقد تحدُث من التقليد ، وقد يكون للوراثة أثر ، فيقلّد الصغار الكبار ، وبعض الأسر الشامية التي عرفناها مصابة بهذه اللثغة اللسانية ، وقد تفارقها بمعالجة أطباء الكلام .

أَلُثْغَة أم لَثَغ . — ولالتباس اللغة باللثغة حتى على علماء اللغة الأثبات قال الثعالبي في فقه اللغة : « أنا أستظرف قول الليث عن الخليل : الذُّعاق كالزعاق ، سمعنا ذلك من عربي" ، وما ندري ألُثْغة أم لثغة » ؟ وجاء في الجمهرة : امرأة عَشّة بالثاء المثلثة وعَشّة بالشين المعجمة : أي ضئيلة الجسم ، قال ابن دريد : وهـذا يناسب من يَلثغ بالشين سيناً وفي السين تاءً ،

وفي الصحاح يقال : فلان من جنثك وجنسك : أي أصلك ، لغة أو لثغة ؟ فالإمام الجوهري في صحاحه لا يدري : (أجنثك) لغة مستقلة عن (جنسك) فلا تكون من البدل ، أم لثغة ؟ وقال أيضًا : اللهس لغة في اللحس أو هَهَّة أي لثغة ، ولعلها لكنة سندية الأصل ، فقد كان أبو عطاء السندي تقلب لكنته الحاء هاءً ويقول : مرهبًا هَيَّاك الله ! ، وما يدرينا أنها انتقلت إلى العرب بمخالطة أهل السند الذين انتشروا قديمًا للعمل والتجارة في البصرة وسواحل الأحساء والبحرين ؟

وجاء في بغية الوعاة (٩٧) ان الركن محمد بن محمد التونسيّ المعروف بابن القَوبع النحويّ كان يلثغ بالراء همزة : (فإذا أراد أن يتضرّع إلى ربه قال : يا أبّي !) ، وكان واصل بن عطاء يلثغ بالرّاء ، ويتجنّبها لبلاغته في خطبه ، وكان عبيد الله بن محمد النحويّ الموصليّ يلثغ بالراء غينا كأهل باريس ، فقال له استاذه الفارسيّ : ضع ذبابة القلم تحت لسانك لتدفعه بها ، وأكثرْ مع ذلك ترديد اللفظ بالرّاء ففعل فاستقام له إخراج الرّاء من مخرجها ، فهو بذلك يحاكي ديموستين خطيب اليونان الكبير الذي كان يروض لسانه بوضع حصاة تحت لسانه ، ويخطب أمواج البحر وما زال كذلك حتى قوّم بالعلاج اعوجاج لسانه وأصبح يسحر قومه بحسن بيانه ، وقال صاحب سرّ الليال (٧٢) : ومن الغريب اني وجدت الرّاء منقلبة عن الغين في عدة ألفاظ وهي عكس لثغة باريس فانهم يقلبون الراء غينا .

ومن ظريف اللثغ أو اللكنة ما ذكره ابن المكرم في لسانه (عسق) قال : فأمّا قول سُحَيْم :

فلو كنتُ وَردًا لونُه لعَسقتِني ولكنّ ربي ساننِي بسَواديا

فليس بشيء ، إنما قلب السين شينا لسواده وضعف عبارته عن الشين ، وليس ذلك بلغة ، وقال : هذا قول ابن سيده ، والعجب منه كونه لم يعتذر عن سائر كلماته بالشين ، ولا عن (سانني) في البيت نفسه ، أو يجعلها

من عَسِق به أي لزمه . اهـ ، فهذان الحرفان (عسق وعشق) وأمثالهما ليسا من البدل في شيء ، ولكنهما من أمراض الكلام المحتاجة إلى طبيب يشفي لثغتها ، أو لغويّ أريب يبيّن نشأتها .

وجاء في وفيات ابن خلكان ان أبا محمد عبد الله بن زياد الكوفي المعروف بابن الاعرابيّ كان يقول : جائز في كلام العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء ، فلا يخطىء من يجعل هذه في موضع هذه ويُنشد :

إلى الله أشكو من خليل أودّه ثلاثَ خلالٍ كلُّها ليَ غائضُ

وتمام الغرابة أنه كان من مَوالي بني هاشم ، وكان أبوه سنديّا !

وقرأت ان أهل دير القمر اللبنانية يقولون : دوّ القمر في ضوء القمر ، ولا يدري أحد كيف فسدت ضادهم ، وهم من أبنائها ، ولا ذلك الزمن الذي تمّ فيه هذا الفساد والتطور الصوتيّ ، وقالوا : انها لغة ثقيف وهذيل ، وما ادراك أن آباءهم الأولين كانوا ثقفيين !

أثر قلة الاعجام في تصحيف الكلام . — قال المجد اللغويّ في قاموسه : الشفلّع كالشعلّع زنة ومعنى ، ثم قال : أو هذه تصحيف ، والصواب : الشعلّع ؛ وقال محمد بن المكرم في لسانه (دشش) : الدّشّ اتخاذ الدشيشة وهو لغة في الجشيشة ، قال الأزهري : ليست بلغة ولكنها لكنة ، فلو ان صاحب اللسان ألّف في الإبدال لأدخل (الدشيشة والجشيشة) في باب الجيم والدال ، ولولا الأخذ بالحديث لتحقيق اللغة لما ذكر الأزهريّ أنها لكنة لا لغة ، مستشهداً بما روي عن أبي الوليد ابن طخفة الغفاري أن النبي ﷺ قال لخمسة من أصحاب الصُّفّة دعاهم إلى منزله : انطلقوا بنا إلى بيت عائشة وقال : يا عائشة أطعمينا ، فجاءت بدشيشة فأكلنا ... ثم قال الأزهري : فدلّ هذا الحديث أن الدشيشة لغة في الجشيشة انتهى ، وكثيراً ما لا يتفق لعلماء اللغة الاطلاعُ على حديث صحيح يصحّح آراءهم في نظائر الإبدال .

ومن النظائر التي تَشابه عليها القول : تأن وثأن ، وأبأته بسهم وأثأته ، والاثكول والاثكون ، وأفلود وأملود ، وثتن وثدن ، والمثدّن والمفدّن (١) وفي الصحاح : شرواخ وشرواح ، قال الجوهري : رجل شرواخ القدم عريضها ، قال الهروي : هذا تصحيف ، وإنما هو شِرواح بالحاء المهملة ، قال التبريزي : الصحيح بالمعجمة ، قال الجوهريّ : والهرويّ هو الذي صحّف (٢) ؟

وشبيه بهذا التصحيف ما جاء في ل (شغزب) : وفي الحديث (حتى يكون شُغْزُبًّا) ، قال ابن الأثير : كذا رواه ابو داود في السنن ، قال الحربي : والذي عندي انه (زُخْزُبًّا) وهو الذي اشتد لحمه وغلظ ، وقد تقدّم في الزّاي ، قال الخطّابي : ويحتمل أن تكون الزاي أبدلت شينًا والخاء غينًا تصحيفًا ، وهذا من غريب الإبدال اهـ ؛ وأصل الحديث كما في اللسان : أنه ﷺ سئل عن الفَرَع وذبحه فقال : « هو حقٌّ ، وَلأن تتركه حتى يكون ابن مَخاض أو ابن لَبون زُخْزُباً خيرٌ من أن تَكْفَأ إناءَكَ وتُوَلّهَ ناقتك » : والفَرَعُ أول ما تلده الناقة كانوا يذبحونه لآلهتهم فكره ذلك وقال : لأن تتركه حتى يكبر وينتفع بلحمه خير من أن تذبحه فتقطع لبنَ أمّه ، فتكُبَّ إناءك الذي كنت تحلُب فيه ، وتجعل ناقتك والهةً بفقد ولدها .

أمّا أبو عبيد فروى هذا الحرفَ (زخزب) في كتابه بالخاء وجاء به في حديث مرفوع ، ثم قال : وهذا هو الصحيح ، والحاء عندنا تصحيف ، فلله ما يصنع التصحيف ! ومن لم يكن في اللغة راسخًا قد ينقلب ماسخاً ، فيجعل بين الحرفين (زخزب وزحزب) إبدالاً ، أو يجعل

(١) وانظر الجاسوس ١٨٦ و ٣١٨ و ٤٠٥ و ٤١٣ و ٤١٤ .
(٢) الوشاح ص ٥ ، وفي المزهر ١ / ٥٥٧ راجع باب (معرفة ما ورد بوجهين بحيث إذا قرأه الألثغ لا يعاب) .

ما بين (شغزب وزخزب) إبدالاً ثنائيًا بتعاقب الشين والزاي ، والغين والخاء ، وفي ذلك ما فيه من البلاء مما لا يسفر عن حقيقة ، أو يرجع إلى سليقة .

ومنها ما هو ظاهرُ التصحيف تظهر صحتَه صحةُ الطبْع وسلامةُ الذوق كما جاء في القاموس (قاء) بعد أن ذكر هذا الفعلَ واستقاء وتَقَيَّأ وقيَّأه الدواءُ قال : (وتقيَّأت : تعرّضت لبعلها ، وألقت نفسها عليه) وكنت أعرف (تفيَّأت) بالفاء والفيءُ الظل والرجوع ، وهما اقرب لمعنى إلقاء المرأة بنفسها على بعلها تحببًا ودلالا ، فقلت في نفسي : لا ريب أن (تقيأت) مصحفة من تفيَّأت وهو ما يقضي به الذوق اللغوي ، وشدّ ما كان سروري يوم رأيت صاحب الجاسوس (٤١٠) يقول مانصّه : قد طالما أنكرت هذا الفعل المنكر واستوحشت منه ، إذ ليس من مناسبة بين القيء والدّلال ، فهو مخالفٌ لحكمة الواضع ، ولم أجد في الصحاح والعباب والأساس والمصباح معنى لتقيأ سوى تكلّف القيء ، وفي التهذيب : استقاء تكلف القيء ، والتقيُّؤ أبلغ وأكثر ، حتى راجعت لسان العرب فوجدت فيه في (قاء) ما نصه : تفيأت المرأة لزوجها : تثنّت عليه وتكسّرت له تدلّلا وألقت نفسها عليه من الفيء وهو الرجوع ، وقد ذكر ذلك في القاف ، قال الأزهري وهو تصحيف ، والصواب تفيَّأت بالفاء ومنه قول الشاعر :

تفيَّأت ذاتُ الدلال والخفَرْ لعابس جافي الدّلال مُقْشَعِر

قال الفارياق : فسررت بذلك سرورَ من تتفيّأ عليه امرأته !

ولكثرة ما وقع فيه العلماء من التصحيف لعدم الإعجام في الصدر الأول ألّفوا فيه كثيراً من الكتب المنبّهة على هذه الأخطاء ككتاب (تثقيف اللسان) للقاضي ابن عمر الصقلّي التونسي من أهل القرن السادس ، والتصحيف والتحريف للعسكري و (تصحيح التصحيف وتحرير التحريف)

الصلاح الصفدي من القرن الثامن ، وله (نفوذ السهم فيما وقع فيه الجوهري من الوهم) .

التباس الترادف بالابدال . — وإذا لم يكن ثمت ترابط صوتي بين الحرفين شبه البدلين حكمنا أنهما متحدان من أصلين مختلفين ، فقد ذكر أبو الطيب اللغوي أن (هُدب العين هُلبها) ونحن لا نستطيع أن نتبين وجهَ الترابط بين الدال واللام ، والدال نطعيّة واللام ذلقية ، وتمتاز الدال بالاصمات والقلقلة ، ولذا نرجح انهما أصلان مستقلان ، وأنهما بالتّرادف أشبه منهما بالتعاقب ، ومثلهما المَعْد والمَعلُ ، والكنبد والكَنبل وسائر ما ذكره أبو الطيب في باب الدال واللام على شرطه ، لأنه لم يشترط تقارب المخارج كابن السكيت وغيره .

التوهم السمعي . — وهو من بواعث الإبدال والخطأ في الرواية ، ذلك أن الصوت الواحد لقلة وضوحه السمعي يختلف اعتباره عند السامعين ، فقد تسمع (خشخش) فتتوهم انك سمعت شخشخ قال صاحب السر (٢٤) ولهذا جاءت أفعال كثيرة بمعنى واحد نحو : نزّ الماء ونشّ ، ونضّ وبضّ ، ومنهم من توهم صوت القطع يحكي : عطّ ومنهم قب ومنهم قط ، إلى أن يقول : وهذا التوهم جاء في سائر اللغات ، فان ترادف (قط) في لغة الانكليز كت Cut ؛ وجاء في الجمهرة (١/ ٧٢) ان ابن السكيت يروي أضرط بمعنى خفيف الاحية وامرأة ضرطاء خفيفة الشعر ، وردّ عليه الأصمعي بقوله : هذا غلط ، انما هو اطرط والاسم الطرَط اه . قلت : ومردُّ هـذا التصحيف هو التوهم السمعي ، فالسامعان لصوت (أضرط) قد يتوهم أحدهما انه سمعها بالضاد ، والآخر يؤكد انه سمعها بالطاء ، ومن التوهم وضَعف الإصغاء جاء البلاء ؛ وجاء في الحديث في صورة الشكّ من الراوي في كلمة (خطيط) فقد ورد في حديث : « ثم نام حتى

سمعت غطيطه ، أو خطيطه » ، قال ابن بطّال : لم اجد كلمة خطيط بالخاء عند اهل اللغة ؛ وفي ل (خبت) : وفي حديث مكحول أنه مرّ برجل نائم بعد العصر ، فدفعه برجله وقال : لقد عوفيت ، إنها ساعة تكون فيها الخَبتة : يريد (الخَبطة) بالطاء ، أي يتخبّطه الشيطان إذا مسّه بخبل أو جنون ، وكان في لسان مكحول لكنة ، فجعل الطاء تاءً ! انتهى .

اكثر النظائر المتعاقبة عدداً . — وحاولنا مرةً أن نعرف أكثر هذه النظائر في اللغة عدداً ، فانتقينا منها أربعة وعشرين زوجاً ليسهل تصنيفها ، وذلك بالنظر إلى كثرتها وقلتها ، وجعلنا الزوج الأول أكثرها عدداً ثم تتوالى الأزواج متناقصةً بالتدريج حتى الزوج الأخير ، وهي كما ترى :

جع ، حه ، حغ . دذ ، تث . بم ، بف . أه ، أع . تد ، تط . ثف . حخ . دط . رل . زس ، زص . شش ، سص . عع . قك . لن . من . ثم وي .

إن الأزواج الثلاثة الأولى : جع ، حه ، حغ (حلقيّات) و دذ ، تث (متباعدان) و بم ، بف (شفهيان) و أه ، أع (حلقيان) و تد ، تط (نطعيان) و ثف (متجاور المخرج) وحخ (حلقي) و دط (نطعي) و رل (ذلقيّ) و زس . زص (أسليّان) وسش (متباعد) و سص (أسليّ) و عغ (حلقيّ) و قك (لَهويّ) ولن (ذَلقيّ) و من (متباعد) ثم وي (متجاور) .

وبإحصاء هذه الأزواج يظهر لنا أن نحو ثلاثة أرباعها : أي ثمانية عشر زوجاً منها هي من المتّحدة المخرج ، وأن الربع الباقي منه : زوجان متجاوران مخرجاً ، واربعة ازواج متباعدة المخارج ، وهي التي نستبعد حدوثَ التعاقب بينها ، ولا يستبعده ابن السكيت وابو الطيب .

صحة أحكام المحدثين من أساتذة فقه اللغة . — إن أساتذة اللغة المحدثين الذين كتب لهم الاطلاع على المباحث الصوتية الحديثة ، ودرسوا علم الأصوات اللغوية ، وتطوّر الأصوات في اللهجات العربية القديمة والحديثة ، ثم تابعوا سير الدراسات اللغوية في ديار الغرب ، وتطوّر أصوات الصبيان في مراحل النموّ ، او درسوا علم امراض الكلام ، وأبحاث آفات النطق واسباب حدوثها وطرق معالجتها هم لعمري اصدق نظراً في احوال الإبدال ، واصحّ احكاماً على نظائره ، واقوى على حل مشاكله ، واستبطان دخائله ممن لم يطلع على غير فن التجويد ، او بحث الفصاحة من كتب البلاغة ، أو آراء ابن جني وأتباعه وغيرها ، ولذلك نرى من اساتذة اللغة العصريين (١) من يحاول في بحثه تمحيص ما كتبه علماء اللغة في الأبحاث الصوتية ، وتحرير مسائل الإبدال تحريراً يميّز به بين الأصول والفروع من النظائر المتعاقبة ، ويرى ان العلاقة الصوتية بين النظيرين المتحدين مخرجاً ممّا يعين على معرفة البدل والمبدَل منهما ، وأن دراسة الاصوات كفيلة بأن توقفنا على ما بين اللفظين المتبادلين من صلات صوتية ، وان تقارب المخارج شرط أساسيّ في كل تطور صوتيّ ، ونحن نذهب إلى ما ذهبوا إليه .

ثمّ ماذا كان علينا لو انتفعنا بأبحاث علماء التجويد الحديث Phonologie من الغربيين بعد ان نضجت على نار الاختبار مباحثهم الصوتية ، كما انتفعوا هم بتجارب الخليل بن احمد وسيبويه تلميذه ، والفراء واحمد بن فارس وابي علي الفارسي وابي الفتح بن جني إمام هذه الصنعة الصوتيّة وتلاميذه في دراسة مخارج الحروف وابحاث الاصوات اللغوية ؟ .

دفاع عن غريب الابدال . — قال لي أحد إخواني ممن يتعهّد بالرأفة والبرّ مودّته لي ، وقد أشفق عليّ مما لقيته من عناء في تحقيق كتاب

(١) انظر رأي المحدثين في الإبدال في كتاب « من أسرار العربية » للدكتور ابراهيم أنيس ص ٥٨ .

الإبدال يوماً : « يا ليتك عُنيتَ بكتابٍ غير الإبدال المملوء بالغريب ! » وكأن هذا الكتاب من الكتب التي « لا تستقيم في آدابنا ولا تقع من معارفنا ، وإنما هي أموات من الكتب ، وقبور من الأوراق ، وأنه يجب أن يكون بيننا وبينها من الإهمال أكثر مما بينها وبيننا من الزمن ...[1] » ، وأذكر أني أجبته يومئذ بقولي : إن الإبدال منه الغريب الوحشي كما تقول ، ومنه المستعملُ الإنسيُّ المتفَقُ على فصاحته باستعماله ، وأنه لم يستعمل إلا لمكانه من الحسن ؟ وأما الغريب من حروف الإبدال الذي نعتَه بالوحشيّ ظلماً فاني اجيبه اليوم عليه بجواب صاحب الريحان والرّيعان[2] :

« والغريب ، وإن لم يُتَّفق منه الكاتب ، فانه يجب أن يُتَعلّم ويُتَطلّع إليه ويستشرف ، فربّ لفظة في خلال شعر أو خطبة أو مثل نادر أو حكاية ، فإن بقيت مقفلةً دون أن تفتح لك ، بقي في الصدر منها حزازة تحوج إلى السؤال .. » ، على أنّ للابدال من المزايا ما ترى بعضه فيما يلي من الكلام .

من مزايا الابدال . — وللابدال مزايا جمة منها أن اللغوي المتمرّس بالإبدال ، يشعر على البداهة بما بين اللفظين المتشابهين من القرابة ، وبعادته التي أصبحت طبعاً وسليقة يدرك بمعرفة أحدهما معنى الآخر ، وما أكثر هذه النظائر المتعاقبة في اللغة ؛ وإن في اطلاعه على المعاني المشتركة في الأسر اللغوية عوناً له على حفظ طائفة كبيرة من اللغة على أيسر سبيل ، فالإبدال من ذرائع اختصار اللغة واستظهارها ، واستبطان أسرارها .

والإبدال يُجنّب الأديبَ الخطأ في فهم النصوص الأدبية فقد رأيت مؤلفاً معاصراً يشرح شعر ابن زيدون ويقول في تفسير الشطر التالي من

(١) الرافعي في الدفاع عن كتب اللغة القديمة في مقدمته لشرح أدب الكاتب للجواليقي (ج)
(٢) صبح الأعشى (٣ / ١٥١) .

فائية : (سُرى الأين من آثاره فيه مَزحفُ) : انه زار محبوبه ليلًا وسَرى إليه سُرى (الأين) ، ولم يفهم معنى الأين الصحيح ففسّره بالتعب والإعياء قال و (المزحف) موضع زحف الحية ، ولا ترابط بين الأين والمزحف ، ولو انه كان مطلعاً على كتاب ابن السكيت مثلا لرأى : ان الأين والأيم الذكر من الحيات ، وأنّ : الأين مثل الأيم نونه بدل من الميم .

ومن فوائد الابدال أن معرفته قد تدفع الاتّهام بالتصحيف ، وقد وقع ذلك لكثير من علماء اللغة ، وبفضل اطلاعهم على أحوال الإبدال أحسنوا الدفاع عن أنفسهم فقد جاء في اللسان (عدف) : قال أبو حسان سمعت أبا عمرو الشيباني يقول : ما ذقت عَدوفًا ولا عَدوفةً ، قال وكنت عند يزيد بن مزيد الشيباني فأنشدته بيت قيس بن زهير :

وعُجَنَّباتٍ ما يَذقن عَدوفة يقذِفنَ بالمُهراتِ والأمْهارِ

بالدال ، فقال لي يزيد : صحّفت يا أبا عمرو ، إنما هي عذوفة بالذال ، قال فقلت له : لم أصحّف أنا ولا أنت ، تقول ربيعة هذا الحرف بالذال وسائر العرب بالدال .

ومن فوائده انه قد يُنتفع به في المصطلحات العلمية : بتخصيص اللفظتين المتعاقبتين لمسمّيين متشابهين بينهما علاقة معنوية ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في لسان العرب (أرث) : الأُرَث والأُرَف : الحدود بين الارضين ، واحدتها أُرْثة وأُرْفة ، فلنا أن نضع (الارثة) لكلمة Borne أي المنار بين الارضين المتجاورتين دفعاً لنزاع الجارين ، و (الارفة) للحد بين البلدتين أو الدولتين ، قال ابن سيده : وأرّث الارضين : جعل بينهما أُرثة ، ولرئيس مجمعنا الامير مصطفى الشهابي معجم زراعيّ اتخذناه مرجعًا لنا في تحقيق ما ورد في هذا الكتاب من ألفاظ النبات وقد جعل فيه (التّأريث) مقابل Abornage بالفرنسية ، و (التأريف) لما يقابل Cadastre [1] .

(١) انظر ص ١٨٦ .

وجاء في كتاب الاشتقاق للأستاذ عبد الله امين (ص ٣٧٠) بعد أن بحث عن الابدال ، وضرب مثلًا لما يمكن أن ينتفع به في اشتقاق اسمين لمسمّيين متشابهين في القول والعمل ، أو في أحدهما باللفظين المتعاقبين : (الغُمْرة والغُمْنة) . وهما في اللغة : لبن تطلي به المرأة وجهها ويديها حتى ترقّ بَشَرتها ، قال : ويمكن أن يسمى المسحوق الذي تطلي به السيّدات وجوههن وأيديهن (غُمرة) : Poudre ، والمعجون الذي يُستعمل استعماله (غُمنة) : Créme ، والنون فيها بدل من الراء في غمرة لتقاربهما مخرجًا وصفة .

وأصحاب معجم المصطلحات الطبيّة [1] بدمشق وضعوا لهما غُمرة وغُمرة ، ولعله من اتفاق الخواطر اللغوية ، كما وضعوا (التخدير) لكلمة Anesthésie و (التختير) لكلمة Narcose ، والفرق الطبي بينهما قليل ، ووضعوا (المخاط) لكلمة mucose والمغاط لكلمة glaire ، كما وضع غيرهم (الشُّثونة) لـ oignon و (الشُّسولة) بمعنى خشونة الكف والاصابع لـ durillon وهي مصطلحات طبية موفّقة ، ودالة على أنّ (الإبدال) من ذرائع نموّ اللغة الحيّة .

وعلى هذا الأسلوب المفيد أرى أن نسمّي كسّارة الجوز Casse - noix (مِرْضَخة) ، وكسّارة الشوز Casse-noisette (مِرْضَحة) بالحاء المهملة ، والعكس جائز [2] ، وأرى أن سلفنا العربيّ الصالح عرف كيف يستعمل لغته فخصّص (الغَبْنَ) بالثوب ، و (الخَبْن) بالعَروض ، وهما في الأصل بمعنى متشابه ، وما كان آباؤنا على عهد الترجمة العباسية بجامدين ، ولله درّ «حافظ» العربية القائل على لسانها :

أنا البَحرُ في أحْشائِهِ الدرُّ كامنٌ فهل سألوا الغَوّاصَ عن صَدَفاتي

★ ★ ★

(١) وهم الأطباء الأفاضل : مرشد خاطر وأحمد حمدي الخيّاط ، وصلاح الدين الكواكبي الذين نقلوا الى العربية هذا المعجم الفرنسيّ الأصل للدكتور كليرفيل جزاهم الله خيراً .

(٢) وانظر ص ٢٧٦ .

التعريف

بأبي الطيّب اللغويّ

(— ٣٥١ هـ = ٩٦٢ م)

موطنه الأول . — إن مؤلف (كتاب الإبدال) ، وهو عبد الواحد ابن علي الحلبيّ المعروف بأبي الطيّب اللغويّ ، قد ولد في سنة لم يذكرها التاريخ من سنيّ خلافة المعتضد العباسيّ ببلدة (عسكر مُكْرَم) (١) من بلاد كوَر الاهواز ، وهي موطنه الاول ، وموطنه الثاني حلب التي عاش فيها بقية حياته مع أبيه ، وعظم بها شأنه وذاعت شهرته اللغوية حتى عرف (باللغويّ الحلبيّ) ، ولم يظهر لقب (اللغويّ) إلا في القرن الرابع بعد أن استفاض التصنيف في اللغة ، واستعجمت الدولة فصار صاحب اللغة يعرف بها كما يُنسب كلّ ذي علم إلى علمه الغالب عليه ، وممن عرفوا به في القرن الرابع ابو الطيب اللغوي صاحب كتاب الابدال ومراتب النحويين ، وابن دريد صاحب الجمهرة والازهري صاحب التهذيب والجوهري صاحب الصحاح (٢) .

دراسته الأولى والثانية . — ليس لدينا من المصادر ما نتبيّن به حقيقة دراسته الاولى ، فالظاهر أن (الصبيّ عبد الواحد) بعد أن ترعرع أدخله أبوه علي العسكري أحد كتاتيب عسكر مكرم ، وكثيراً ما كان

---

(١) وقد اختطّ العرب هذه البلدة في صدر الإسلام ، ونسبت الى مُكرم بن معزاء ابن الحارث صاحب الحجاج بن يوسف الثقفي .

(٢) تاريخ آداب العرب للرافعي (١ / ٣٣٨) .

مؤدّبوها من العلماء المعروفين ، وفي كتّابه تعلم بالقرآن القراءةَ ، ومبادىء الكتابة والحساب والدين ، وهو أول ما كان يتعلمه صبيان العرب يومئذ ، وكان الكتّاب يحاكي المدرسة الابتدائية في عصرنا ؛ أمّا التعليم الثانويّ فكان قوامه تجويد القرآن وحفظ طائفة من الحديث مع التوسع قليلًا في الحساب والفقه واللغة والادب ؛ ولا ريب في أنه أتمّ في عسكر مكرم دراستيه الاولى والثانية ، وفي أن مخايل النجابة وتوقّد الذكاء قد ظهرت عليه لاساتذته فاهتموا به ، وقد اشتهرت بلدته بعلمائها الذين أخذ عنهم ، قال ياقوت في معجمه (١) : (وقد نسب اليها قوم من أهل العلم منهم العسكريّان أبو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد اللغوي العلاّمة أخذ عن ابن دريد وأقرانه ، والحسن بن عبد الله بن سهل ابو هلال العسكري) أما أبو احمد اللغوي فهو خال أبي هلال ومربيه واستاذه وله من الكتب : صناعة الشعراء ، والمختلف والمؤتلف ، والتصحيف ، وتصحيح الوجوه والنظائر وغيرها ، وقد عرف باللغة والادب ؛ واما أبو هلال العسكري فهو صاحب الصناعتين وجمهرة الامثال ، والتلخيص في اللغة وشرح الحماسة ، وما تلحن فيه العامة وديوان المعاني المطبوع وغيرها .

شيوخ أبي الطيب . — ولعل أبا الطيب قد رافق أبا هلال العسكري في الاخذ عن خاله أبي احمد ، وقرأ عليه كتبه ، ولا سيما ما يتعلق منها باللغة ، وكان أبو احمد لغويًا ونحويًّا ، ومن تلاميذ ابن دريد ونفطويه ، فأخذ منه هو ورفيقه أبو هلال حبّ اللغة والادب ، ثم رأى أنه قد اكتفى بما أخذه في بلدته من العلم ، وكانت شهرة بغداد العلمية قد انتشرت في البلاد ، فألحّ على أبيه بشدّ الرحال اليها ، وبغداد في القرن الرابع من أرقى بلدان العالم عمرانا وعرفانا ، ومجمع علماء العرب والاسلام ، ومنتجع

(١) ٦ / ١٧٦ مط السعادة .

طلاب العلوم والآداب ، وقد ضمّت في هذا القرن أمثال ابن دريد ، والمبرّد وثعلب ، وابن السرّاج ومَبرمان والزجّاج والزَجاجيّ ومحمد بن القاسم الانباري وابي علي القالي واضرابهم . ولعل عبد الواحد العسكري قد شدّ الرحال مع أبيه عليّ الى مدينة السلام في الزمن الذي شدّ فيه الرحال اليها ابو علي الفارسي وابن خالويه في خلافة المقتدر العباسيّ ، وقد يكون ذلك في اوائل القرن الرابع .

وبعد أن استقر في بغداد مع أبيه ، وعرف من فيها من أوعية العلم وروايا الادب ، اختار من بينهم أبا عمر الزاهد اللغوي ومحمد بن يحيى الصوليّ الراوية الاديب ، ولازمهما كما لازم ابو عمر الزاهد شيخه احمد بن يحيى وصار يعرف بغلام ثعلب ، وهو الذي قال فيه عبد الواحد بن عليّ العكبري المعروف بابن بَرهان : لم يتكلم في العربيّة أحد من الاولين والآخرين بأحسن من كلام أبي عمر الزاهد [1] .

وروى ابن القارح علي بن منصور ، وهو من تلاميذ أبي الطيب ، في رسالته المشهورة التي أجابه عليها المعريّ في غفرانه قال قال لي شيخي أبو الطيب : قرأت على ابي عمر الفصيحَ واصلاحَ المنطق حفظًا [2] ، وقال لي أبو عمر : كنت أعلق اللغة عن ثعلب على خَزَف وأجلس على دجلة أحفظها وأرمي بها ! ،

(١) وقرأ عليه نوادر أبي عمرو الشيباني أيضاً .

(٢) وهو محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم أبو عمر الزاهد ويُعرف بالمطرّز الباوَردي (نسبة إلى باورد وهي أبيورد) من شيوخ أبي الطيب اللغوي وابن خالويه ، أملى من حفظه في اللغة نحو ثلاثين ألف ورقة ، ومن كتبه اليواقيت الذي أكثر ابن مكتوم من النقل منه في حواشيه ، ولا يزال مخطوطاً ، ورسالة في غريب القرآن ، وله غرائب الحديث ، وتفسير أسماء الشعراء والمداخل المنشور في مجلة المجمع العلمي ، والقبائل ، وأخبار العرب ، وله رسائل استدرك بها على فصيح ثعلب والعين والجمهرة وتوفي ببغداد (٢٦١ ـ ٣٤٥ هـ) .

ورافق أبا الطيب ببغداد في الاخذ عن الزاهد أبو علي القالي صاحب الامالي ، والحسين بن عبد الله الهمذاني المعروف بابن خالويه ، واكتسب أبو الطيب والقالي من شيخهما أبي عمر حب اللغة والابدال فكتب الاول فيه كتابا ، وبحث الثاني عن الابدال في أماليه .

ولا نعرف من تلاميذ أبي الطيب غير ابن القارح صديق أبي العلاء المعري الذي أجابه على رسالته اليه برسالة الغفران ، وهو الذي اجتمع بدمشق بأبي علي الصقلي فحدثه بحديث رسول سيف الدولة الى كلٍ من ابن خالويه وابي الطيب ، ولعل ابا علي هذا الذي كان يتعصّب لابي الطيب هو من تلاميذه ، ويعد كذلك من ألف لأجله أبو الطيب (مراتب النحويين) لقوله في المقدمة : (اشفقتُ من لَبس يُدخَل عليه فيه ، وأعيذ اخواني بالله ممّا لا يسرّني في الاعداء) ، ويظهر من هذه العبارة أن له كثيراً من الإخوان أي التلامذة وأشباههم ، وتلامذة الاستاذ إخوانه في الله .

ولئن عدّ السيوطي في مزهره (١٦٩/١) من الوجادة ، وهي إحدى طرق الأخذ والتحمّل ، ما ذكره الجوهريّ في صحاحه : (هرهرتُ الشيء لغة في قَرقرته : إذا حرّكته ، وهذا الحرف نقلته من كتاب الاعتقاب لأبي تراب من غير سماع) ، فأنا أحق بأن أعدّ نفسي ممن اخذ العلم وتحمّله بالوجادة من أبي الطيب اللغويّ ، واعتقد ـ ولا فخر ـ بأني من تلاميذه ، فقد نقلت عنه من غير سماع كل هذا الكتاب ، الذي يُثبته لأبي الطّيب ما عليه من خطوط رُواة اللُّغة الأثبات .

وأخذ أبو الطيب عن محمد بن يحيى الصوليّ (ـ ٣٣٦ هـ) الكاتب الذي أخذ عن ثعلب والمبرد والسجستاني وغيرهم من الأئمة ، وكان نديم خلفاء ومن أقطاب الادباء ، برع في الصناعتين واللغة والاخبار ، فلا ريب

أن أبا الطيب قد قرأ عليه كتبه في الاخبار واللغة والأدب كأخبار أبي تمام وشرحه لديوانه واخبار ابن هرمة وأخبار أبي عمرو بن العلاء وأدب الكاتب ، وما صنعه من دواوين الشعراء .

وممن نراهم مثل شيوخه مَن روى وحدّث عنهم في كتابه (مراتب النحويين) ، وأكثر من روى عنه : أبو الفضل جعفر بن محمد بن بابتويه ، وأبو عبد الرحمن عبد القدوس بن احمد التستري ، وعبد العزيز بن يحيى وعبد العزيز بن سلامة ، وعلي بن محمد الخداشي ، وعلي بن ابراهيم البغدادي وأبو رَوق الهِزّاني والحسين بن أبي صالح .

حلب موطنه الثاني . — وكانت حلب الشهباء في القرن الرابع تحاكي مدينة السلام في نهضتها العلمية ، كانت مجتمع العلماء ومنتجع الشعراء ، كالفارابي وابن خالويه وأبي علي الفارسي وأبي الفتح بن جني وكشاجم وابن نباتة الخطيب الفارقي من العلماء وأشباههم ومن الشعراء أمثال أبي الطيب المتنبي والسريّ الرفاء وأبي فراس الحمداني وغيرهم ، وفي هذه البيئة العلمية نضج علم أبي الطيب اللغويّ وظهرت آيات فضله ، واشتهر فيها باللغة فعرف باللغويّ ، واتخذ حلب موطنا فعرف بالحلبيّ ، وأحبّها ولم يفارقها حتى فارق الحياة شهيداً ، ثم منحه العلماء بعد وفاته لقب (حجة العرب) ، وفي صبح الأعشى أنه من ألقاب اللغويّين والنحاة الذين يحتجّ العرب بهم للغتهم الصّحيحة .

وكانت له بأسانيده صلة علمية بأئمة اللغة والادب كالخليل بن أحمد الفراهيدي وعبد الملك بن قريب الاصمعي والامام الجاحظ وغيرهم ، فمن أسانيده الى الخليل ما جاء في المراتب (ص ٤) : اخبرنا محمد بن يحيى الصولي عن أبي أحمد بن موسى البربري عن الزبير بن بكار عن النضر بن شميل عن الخليل ؛ ومن أسانيده الى الاصمعي (ص ٩) محمد بن عبد الواحد (أبو عمر الزاهد) عن أبي عمرو الطوسي عن أبيه عن اللحياني عن الاصمعي ، ومن أسانيده إلى الجاحظ (ص ٧) ما حدثه به عبد القدوس بن أحمد التستري عن محمد بن يزيد المبرد عن الجاحظ .

كانت اللغة العربية في الأصمعي ملكةً راسخة وسليقة موروثة يتغلّب بها على منافسه الشعوبيّ أبي عبيدة مَعمر بن المثنى ، كذلك كان يتغلّب أبو الطيب اللغوي العَربي على منافسه ابن خالويه الهمذاني، قال أبو علي الصقلي[١]: كنت في مجلس ابن خالويه إذ وردت عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة فاضطرب لها ، ودخل خزانته واخرج لها كتب اللغة وفرّقها على من كان عنده من أصحابه يفتّشونها ليبحث عنها ، فتركته وذهبت إلى أبي الطيب اللغويّ ، وهو جالس ، وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها ، وبيده قلم الحمرة فأجاب به ، ولم يغيّره قدرةً على الجواب .

إن هذه الحادثة تدلنا على المنافسة التي كانت بين أبي الطيب وابن خالويه ، وعلى مبلغ إعجاب ابي علي الصقليّ بأبي الطيب وتحزّبه له كما تدلنا على ان ابا الطيّب كان علمه صدريًّا لا قِمَطْريًّا ، وكان سيف الدولة يختبرهما في ذلك كما كان الرشيد يختبر بأسئلته الأصمعيّ وأبا عبيدة فيجيبه الأصمعيّ بما يفيض على لسانه من صدره ، ويجيبه ابو عبيدة بعد الرجوع إلى قمطره ، ويفوز الأصمعي بالجائزة .

على أن أبا العلاء المعريّ الذي ذكر في رسالة الغفران هذه الحادثة[٢]، وكان ممن يميل الى ابن خالويه جعل الاعتماد على الأوراق والدفاتر من حزم الحافظ الذاكر فقال : « وأما أبو عبد الله بن خالويه واحضاره للبحث النسخ فانه ما عجز ولا أفسخ (نسي) ، ولكن الحازم يريد استظهارا ويزيد على الشهادة الثانية ظهارا » وبعد أن أشاد بذكر ابن خالويه عطف على ترجمة أبي الطيب فأثنى عليه ، وأشار إلى ما بين الشيخين من المنافسة والجفاء وحِرمان المعاصرة بقوله : « وكان ابن خالويه يلقبه (قُرْموطة الكتبِرْثَل) !

(١) رسالة الغفران لبنت الشاطئ ٥٩ (ط ثانية) .
(٢) وهي في هذه الرسالة لبنت الشاطئ ص ٥٤٠ .

يريد دُحروجة الجُعل لأنه كان قصيرا » وما علاقة العلم بين الفحول بالقصر أو الطول !

ثم يقول المعرّي : وحدثني الثقة أنه كان في مجلس أبي عبد الله ابن خالويه ، وقد جاءه رسول سيف الدولة يأمره بالحضور ، ويقول له : قد جاء رجل لغويّ ـ يعني أبا الطيب هذا ـ قال المحدّث ، فقمت من عنده ومضيت إلى المتنبي فحكيت له الحكاية ، فقال (المتنبي) : « الساعةَ يسأل الرجل عن شوط بُراح والعِلسّوض [1] ونحو ذلك ، يعني أنه يُعنِته » : أي يعنت ابا الطيب بالسؤال عن الغريب : إن هذا الحديث يدلُّ على بدء التعارف بين الشيخين في حلب ، ويقول المنتصر لأبي الطيب : ان ابن خالويه كان يستظهر الفاظاً من الغريب الوحشيّ ليهاجم بها في المآزق خصومَه ، وهم على غير أُهبة . وقد يكون خصومه اكثر استظهاراً لغرائب اللغة في تلك الساعة منه ، كما يدلنا هذا الحديث على ما كان بين أبَويْ الطيّب المتنبي واللّغوي من المودّة ، وكان ابو الطيب اللغوي وابو الفتح ابن جنّي من انصار المتنبي على ابن خالويه ، ويجمع ما بين صاحب الخصائص وصاحب الابدال حبّهما للّغة وتعاقب العربيـــة والبحث عن أسرارها .

وهل كان ابو الطيب شاعرا . — قال أبوالعلاء : وقد كان أبوالطيب يَتعاطى شيئاً من النظم ، ثم ذكر ما كان بينه وبين أبي العباس ابن الكاتب [2] البكتمري من المودة والمؤانسة وأورد له شعراً في التشوق إليه أوله :

---

(١) شوط براح هو ابن آوى ، والعلوض بالضاد ابن آوى بلغة حمير ، وبالصاد كما في بعض نسخ الغفران هو الذئب .

(٢) في اليتيمة : أبو الفتح البكتمريّ ، ويعرف بابن الكاتب الشاميّ من شعراء آل حمدان ، وانظر رسالة الغفران لبنت الشاطئ ٥٤٤ (ط ثانية) .

يا (عبدُ) إنك عند القلب جنّتُهُ حُبًّا ، وانك عند الطرف ناظرُهُ
أزمعتَ سيرًا ، فقلْ ما أنت قائله واذكرْ لراعي الهوى ما أنت ناكرُهُ
لا أشتكي سَهرًا طالت مسافتُه الليلُ يعلم أني الدهرَ ساهرُهُ

يريد (يا عبد الواحد) ولا ندري بماذا أجابه عبد الواحد .

ومما يدل على تعاطي أبي الطيب للشعر ، وعلى تبحّره في اللغة وحبها ، وعلى اتصال سنده أيضًا بالخليل قوله (أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال انشدني عمر بن عبد الله العَتَكي قال انشدني ابو الفضل جعفر بن سليمان النوفلي عن الجِرمازي للخليل ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظها ويختلف معناها)

قال أبو الطيّب : أراد بهذا أن يبيّن أن تكرار القوافي ليس بضارّ إذا لم يكن بمعنىً واحد ، وليس بإيطاء ، والأبيات هي :

يا ويحَ قلبي من دَواعي الهَوى إذْ رحلَ الجيرانُ عندَ الغُروبْ
أتبعتهم طَرفي ، وقد أزمعوا ودمعُ عينيّ كفَيض الغُروبْ
كانوا ، وفيهم طفلة حُرّةٌ تَفترُّ عن مثل أقاحي الغُروبْ

فالغُروب الأول : غروب الشمس ، والثاني جمع غَرْب وهو الدّلو العظيمة ، والثالث جمع غرب : وهو الوهاد المنخفضة (المزهر ١/٣٧٦) وفيه على هذا النمط ثلاثة أبيات أخرى لسلامة الأنباري .

وقال أبو الطيب : فقصد هذا القصدَ بعضُ الشعراء فيما أنشده ثعلب ، ولم يذكر قائلًا ومطلع قصيدته الخاليّة :

أتعرف أطلالاً شَجَوْنكَ بالخالِ وعَيْشَ زَمانٍ كان في العُصُر الخالي[1]

ثم قال أبو الطيّب : ولما ظننّا أن من سمع هذه الأبيات ربّما خال صاحبها قد زاد على الخليل بن أحمد ، وأنه لمّا تعرّض لشيء تقصّاه ، رأينا أن نبين أنه بخلاف هذه الصورة ، وأنه قد ترك أكثر مما أخذ ،

(١) أعلام النبلاء ٤ / ٣٦ ، أورد في هذه الخالية ١٢ بيتاً فيها بعض التحريف .

وأغفل أكثر مما أورد ، وقد بقي عليه من هذه القوافي ما نحن ناظمون أبياتاً ومعتذرون من التقصير فيه : إذ المراد إيراد القوافي دون التعمّد لنقد الشعر ، وعدد الأبيات ١٤ ، ومطلعها :

أَلِمَّ بِرَبْعِ الدارِ بانَ أنيسُهُ على رَغمِ أنفِ اللَّهوِ ، فَقِفْ بذي الخالِ

ومقطعها :

وإن زعموا أني تخلّيت بعدَها فما أنا عنها بالخَلِيِّ ولا الخالي(١)

وذكر محمد بن الحسن الحاتميّ في كتاب (الهلباجة) أنه كان يوزن في مجلس سيف الدولة بأبي علي الفارسيّ فارس العربية ، وبأبي عبد الله ابن خالويه ، وكان له السهم الفائز في علوم العربيّة ، وبأبي الطيب اللغويّ ، وكان حَتَفَ الكلمة الشّرود حفظاً وتيقظاً !

نثر أبي الطيب. — عرفنا الآن أن أبا الطيب اللغويّ — كما ذكره المعرّي — كان يتعاطى شيئاً من النظم ، وأن شعره كان شعر علماء اللغة فكيف كان نثره ؟ لم يقل أبو العلاء عنه شيئاً ، والمؤرخون إنما يهتمون بشعر من يترجمون له لا بنثره ، وإنما عرفنا أمثلة لنثره من مقدمات كتبه ، وقد نقل لنا السيوطيّ في مزهره (١ / ٤٦٠) نمطاً من تعبيره في مقدمة الإبدال(٢) ، ومن مقدمته لكتاب المثنى قوله الذي يَصِف به كتبه : « إنه ليس شيء من كتبنا ، وإن قصُرت أبوابه ، وقلّت أوراقُه بأقلّ فائدةً في معناه للمتعلّم ، ولا أنزرَ عائدةً في مَغزاه على المتفهّم من غيره . . . وما شيءٌ توخّيناه من ذلك ولا تعمّدناه إلاّ لغرضٍ في الإفهام تحرّيناه ، وحرص على الإعلام الذي أردناه » ؛ ومما قاله

(١) وأورد ابن شاكر الدمشقي في عيون التواريخ — من مخطوطات الأحمدية بحلب — هذه القصيدة وما قبلها ، وخالية أخرى لعبد الله بن محمد العروضي في ٢٩ بيتاً ، ولبطرس كرامة الحمصيّ من المتأخرين خالية في ٢٥ بيتاً مضمومة الرويّ .

(٢) وتراه أيضاً آخر (وصف كتاب الابدال)

في فاتحة (مراتب النحويين) [١] لتلميذه الذي شكا اليه غلبة الجهل على كثير من أهل دهره :

« أمتعني الله ببقائك ، وحسن الدفاع عن حوبائك ، ووفّقك في دينك ورأيك ، وجعلك لكل خير سببًا ، ورزقك اليه مذهبا ، إن اختلاف همم النفوس بحسب اختلافها في الفضل ، ومناسبتها للعلم على قدر مناسبتها للعقل ، والنفس النفيسة تتأذّى بفقد العلم أكثر مما يتأذى الجسم بعدم الطّعم .. »

وإليك هذا المثال من كتابه (شجر الدرّ) الذي طبع أخيرا :

العلم سهل وعويص ، وذَلول وجموح ، لا يُستغنى باحتواء سهله عن معرفة عَويصه ، بل لا يُتوصّل إلى تقصّي ذَلوله إلا باستنباط جامحه ، والطّنين بهما المتبحّر فيهما يبذل لطالب سَهله مُلتَمسَه ، ولمبتغي التوصّل الى عويصه طريقَ الوُصْلة إليه ، فاللهَ أسأل أن يجعلنا ممّن يُبدي ذَلولَ ما مُنِحَ من العلم لمبتغيه ، طلباً لمَرضاة مُوليه ومُسديه ، ويُظهِر الجامحَ [٢] امتثالاً لقوله تعالى : (وأمّا بنعمةِ ربّكَ فحدّث) .

إن أمثال هذا الإنشاء ممّا عرفه العصر العباسيّ ، والعلماء يؤثرون السجع في المقدّمات ، وجمل الدعاء الاعتراضية كانت تتخلّل إنشاءهم ، والسجع منه الموسيقي المطبوع والمتكلّف المصنوع ، وسجع أبي الطيّب مُتخيّرُ اللّفظ مُحكمُ النّسج وحسنُ الانسجام .

أضواء أبي الطيب العلمية . — كان وهو في موطنه الأول عسكر مكرم قويّ الحافظة وشديد الانتباه لما يتعلمه ، وعرفنا الآن رأيَ الحاتميّ فيه ، وهو أنه كان حتف الكلمة الشرود حفظًا وتيقّظا ، وكان منهومًا بالعلم أشدّ النّهمة ، ومفتونًا بحب العربية كلّ الفتنة مما حمله على حمل والده على الهجرة إلى بغداد لإكمال ما تعلّمه في بلده ، وكان في مدينة السلام كثير الرفق باستاذه أبي عمر الزاهد المعروف بالحِدّة وسرعة الغضب ،

---

(١) وترى فيه وفي الصفحة التالية منه مثالاً آخر لنثره المتين المبين .

(٢) أي يُبين عليه بانقياده .

وكثير الوفاء له فقد لازمه ببغداد ولم ينقطع عنه ، ولا عن الصولي مدة طلبه العلم ببغداد ، وكان نقّادًا منصفًا وبارعًا في الجرح والتعديل يرى رأي المحدّثين في أنه لا غِيبة في توهين الضّعاف ، قال السيوطي في مزهره (١ / ٦٠ بولاق) : (وقد ألّف أبو الطيب اللغوي كتاب مراتب النحويين مَيّز أهلَ الصّدق من أهل الكذب والوضع ، وقوله عن أبي زيد : اختلّ حفظه ولم يختلّ عقله) ؛ ومن إنصافه في النقد قوله (مراتب ٩٢) : وكان أبو نصر الباهليّ يتعنّت ابن الأعرابيّ ويكذّبه ويدّعي عليه التزيّد ويُزَيّفه ، وابن الأعرابي أكثر حفظًا للنوادر منه ، وأبو نصر أشدّ تثبّتا وأمانةً وأوثق ؛ وأما أبو عبيد القاسم بن سلاّم فإنه مصنّف حسن التصنيف إلاّ أنه قليلُ الرواية تقطعه عن اللغة علوم افتنّ فيها ... وقد أُخذت عليه مواضعُ في كتابه (الغريب المصنّف) ، وكان ناقص العلم بالإعراب . وأبو الطيب سريع الإجابة إلى مطالب طلاّبه رغبةً في تعليمهم وتجنيبهم الخطأ في العلم ، يدل عليه تأليفه للمراتب وقوله : فلما اجتمع شكواك ما تشكّيته إلى ما أرى الناس يتهافتون فيه خبطَ عشواء وصيدَ ظلماء أشفقتُ من لبسٍ يُدخَلُ عليك فيه ، أو سهو يحملك على باطل تحكيه ، فرسمت لك في هذا الكتاب ما تقبح الغفلة عنه ولا يسع العقلاء جهله .

ومما يدل على ذوقه الأدبيّ وصحة طبعه وحبّه للبلغاء الأبناء وفرط إعجابه بالجاحظ أنه حينما سمعَ قول يحيى بن خالد البرمكي : (أربعة ليس في فنهم مثلهم : أبو حنيفة (النعمان) في فنه ، والخليل بن احمد في فنه ، وابن المقفع في فنه ، والفزاريّ في فنه [1]) قال أبو الطيب وأنا أقول : وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في فنهِ !

(١) لعلّه ابراهيم بن حبيب الفزاري من ولد سمرة بن جندب : أول من عمل في الإسلام اسطرلاباً ، وعمل مسطّحاً ومبطحاً وله من الكتب : كتاب الزيج على سنيّ العرب ، وكتاب العمل بالاسطرلاب وهو ذات الحلق ، وكتاب العمل بالاسطرلاب المسطح وغيرها (الفهرست ٣٩٥) ط الاستقامة .

كتب أبي الطيب . — والظنّ الغالب أن جميع من ترجموا للمصنف قد اعتمدوا على أبي العلاء المعريّ في رسالة الغفران حيث يقول في قتله وضياع الكثير من كتبه ما نصه : « ولا شكّ أنه قد ضاع كثير من كتبه وتصنيفاته لأن الروم قتلوه وأباه في فتح حلب » : أي في دخول الدمستق حلب كما سنذكره ، والكتب التي عرفناها لأبي الطيب هي :

(١) **كتاب الابدال هذا** . — وهو الذي ذكره السيوطيّ والصفديّ وغيرهما ، وقال المعريّ : (إنه قد نحا فيه نحو كتاب يعقوب في القلب) ، ولعله اجلّ كتبه ، وأوسع ما ألّف في الإبدال بعد كتاب يعقوب الذي نشره الدكتور هفنر ببيروت سنة ١٩٠٣ م .

(٢) **مراتب النحويين** . — الذي نشره وحقّقه الاستاذ محمد أبو الفضل ابرهيم ، وهو في طبقات النحاة ، ذكره صاحب كشف الظنون وسماه (مراتب) النحاة ، وهو في بعض مكتبات الآستانة وفي الخزانة التيمورية بدار الكتب بمصر .

(٣) **شجر الدر** . — الذي ذكر المعري (أن أبا الطيب سلك فيه مسلك أبي عمر الزاهد في المداخل) ، وقد نشره في مجلة المجمع العلمي العربي صديقنا الاستاذ الميمني باسم المداخلات ، ثم نشره الاستاذ محمد عبد الجواد بعد تحقيقه باسم شجر الدّر ، وهو من ذخائر العرب (٢١) .

(٤) **المثنى** . — حذا فيه حذو ابن السكيت في المثنى والمكنّى[1] ولم يذكره المعريّ ولا صاحب البغية وغيره ، وهو أول رسالة من مجموعة الإبدال الخطية التي وصفناها ، وسنحققها وننشرها في مجلة المجمع العلمي العربي ثم نطبعها على حِدة ، ولعلها النسخة الوحيدة في العالم كالإبدال .

(١) المزهر (بولاق) ٢ / ٩٣ .

(٥) **الاتباع** . — مما ألفه أبو الطيّب ببغداد ، وأعجب به البغداديّون وتداولوه فيما بينهم ، وهي النسخة الفريدة كالمثنى ، وسننشرها في المجلة بعد تحقيقها ثم تُطبع على حدة لتعميم نفعها .

(٦) **كتاب الاضداد في كلام العرب** . — ذكر المرتضى الزبيديّ في مقدمة التاج أن أبا الطيب بسط الكلام على الضدّ في كتابه الأضداد ، ولم يذكر السيوطي في مزهره (١/ ٣٩٧) أبا الطيب في الذين ألّفوا في الأضداد كقطرب والتوّزي وأبي بكر بن الأنباري وابن الدهّان والصغاني ؛ ولكن بروكلمن ذكر أضداد أبي الطيب في الجزء الأول من ذيول تاريخه للأدب العربي ، ومنه نسخة في مكتبة سليم آغا بالآستانة رقم ٨٩٣ . وذكره أيضاً في فهرس المخطوطات المصورة في الجامعة المصرية فؤاد سيد ١ : ٣٤١

(٧) **الفروق** . — وقد ذكره المعرّيّ في غفرانه قائلا : (قد أكثر فيه وأسهب) وعنه نقل السيوطي في المزهر (١/ ٤٤٧ ط الحلبي) ، وذكره باسم الفروق .

(٨) **طبقات الشعراء** . — جاء في الجزء الثاني من التاج (٢/ ٣٤٨) : ذياد بن عزيز ، وقيل : ذياد بن زيد بن الحويرث بن مالك بن واقد الشاعر ، أورده أبو الطيب في (طبقات الشعراء) ، ولا نعلم اليوم مستودعه في خزائن الكتب ، وغالب الظن أنه لشيخنا أبي الطيب اللغويّ .

وهنالك كما ذكرنا بحث عن كتبه في مجلة Z D M G ص ٥٦ و ٥٨ ، وانظر بروكلمن (S . I : 190) ، وفي ترجماته في الكتب العربية ذكر لبعض كتبه .

★ ★ ★

وفاته شهيدًا. — كانت الحرب على عهد الدولة الحمدانية سجالاً بين العرب والرّوم ، ولسيف الدولة أيام محجّلة انتصر فيها العرب على عدوّهم وخلّدها أبو الطيب المتنبي بشعره ، وفي سنة ٣٥١ للهجرة أعجل الدمستقُ قائدُ الروم سيفَ الدولة عن الاستعداد والاحتشاد ، وحاصر الشهباء ، فخرج اليه بمن معـــه من الجند الذي لم يتكافأ مع جيش الروم عَددًا وعُددًا ، فقاتله مستقتلا ، ولم يكن له به قِبَل ، فقتل أكثر جنده ومن كان معه من بني حمدان ، وانسحب من المعركة في نفر يسير من صحابته ، وهاجم الدمستق داره فنهبها وهدمها ، ودخل المدينة سحَرًا من جهة برج الغنم ليلة الثلاثاء لثمان بقين من ذي القعدة وقتل خلقًا كثيرًا ، ولم يسلم إلا من اعتصم بالقلعة ، وتترّس الحلبيون يومئذ في المدينة بمتاريس من الأُكُف والبَراذع ، كما كانت دمشق تتترّس بأكياس الرمل في مصاولة الفرنسيّين ، ودافعوا عن عُقر دارهم دفاع الأبطال ، فبدا للدمستق أن يحاصر القلعة فأرسل ابن اخت الملك لاحتلالها ومن ورائه جند الروم ، ولما دنا من القلعة ألقوا عليه حجرًا فسقط قتيلًا ، وطلبه الدمستق فرموا اليه برأسه ، فانتقم له ممن أخذه من الأسرى وقتلهم جميعًا ، ولا ندري أقتل أبو الطيب وأبوه ، وهما متترسان في المدينة ، أم كانا مع الأسرى المقتولين ، وهكذا كان علماء السلف يحمون الذمار ويستشهدون ذياداً عن الديار ، ورحم الله شهداءالشهباء وأبا الطيّب اللغويّ الذي تجافى عن مَطارح الهَوانفاستشهد في الذياد عن الإسلام والدفاع عن الأوطان .

★ ★ ★

قصة مجموعة الإبدال . — وهل كتاب الإبدال هذا هو لأبي الطيب اللغوي الذي ذكره المعرّي وغيره من علماء اللغة وأسفوا على ضياعه في النكبة الحلبية بغزو الدمستق سنة ٣٥١ هـ ، أم هو كتاب لغيره في الإبدال ؟ ونحن الآن ذاكرون قصته وأدلة إثباته لأبي الطيب لتطمئن قلوب علماء اللغة بأن ما نقدمه اليوم لهم هو كتاب أبي الطيّب عبد الواحد بن علي الحلبيّ ولا ريب فيه .

إن بيت آل عابدين بدمشق من بيوتات العلم والفضل فيها ، منه نشأ مؤلّفون ومفتون رفع الله ذكرهم في دنيا الإسلام كأبي حنيفة الأصغر الشيخ محمد عابدين الشهير بحاشيته على (رد المحتار) ، وقد أصبحت مرجع المذهب الحنفيّ بين أتباع أبي حنيفة ، ومنهم ابنه السيد علاء الدين مؤلف (قرة عيون الأخيار) التي أكمل بها حاشية والده المشهورة ، وفي مقدمتها سلسلة نسبه الحسيني ، وابن أخيه السيد أبو الخير عابدين مفتي دمشق ، وابنه الشيخ العليم محمد أبو اليسر مفتي الإقليم الشمالي ، وقد انتقلت اليه كتب آبائه وبينها المخطوطات النوادر التي أحسن الانتفاع بها ، وصانها من لصوص مخطوطاتنا الذين يفقرون مكتباتنا باشترائها ليغنوا خزائن كتب الغرب بذخائرنا ، ولولا حرص مفتينا عليها وضنّه بها على غير أهلها لما عثرنا على (كتاب الابدال) بين مجاميعه الخطية ، فجزاه الله عن الاسلام والعربية جزاء من أحسن عملا .

وزرتُ يومًا الشيخ العليم (الدكتور) أبا اليسر في منزله ، وصحبني اليه صَديقي العلامة الشيخ عبد العزيز الميمني المستهام بالكتب ، فأكرمنا رب المنزل بإطلاعنا على نوادر مخطوطاته ، ومن بينها مجموعة لغويّة كتب على الصفحة الأولى منها : كتاب المثنّى لحجة العرب أبي الطيب اللغوي ، وحرص صاحبي على اشترائه ، وسأل صاحبه عن ثمنه ، فكان جوابه : وزنُه ذهبا !

وحرصت على نسخه لأنتفع بعلمه ، وكان لما بيننا من المحبة ، وللمودة الموروثة من الآباء أن وافق صديقي أبو اليسر على نسخي لكتاب المثنّى ، ولم أكن أعلم يومئذٍ أن في هذه المجموعة النفيسة (كتاب الإبدال) لمؤلف المثنّى ، وشرعتُ في نسخه مع الحواشي التي أعانني الله على قراءتها ثم عارضتها بالأصل لتصحيحها ولله الحمد .

ثم رجعت الى ما في المجمع العلمي من فهارس العالم فلم أجد له فيها ذكرا ، فنشرت في مجلتنا نبأ عثوري على كتاب المثنى لأبي الطيب اللغوي ، لعل هنالك من يبشّرني بوجود نسخة ثانية من المثنّى تسهل بها معارضته وتصحيحه ، ومرّت الأيام ولم يجبني على سؤالي أحد ، ولا اسطعتُ مع عناء التدريس أن أتفرّغ لتحقيقه فلبث في مرقده من مكتبتي سنين حتى منّ الله عليّ بالتفرّغ والراحة ببلوغ سنّ التقاعد[1] ، وألحّ عليّ المجمع العلمي بالشروع في تحقيقه بعد أن قرر نشره ، فلبّيتُ الطلب وهو أمنيتي ، وشرعت في إعادة نسخه تمهيدًا لتحقيقه وتيسيرًا لطبعه ، وما أتممت منه أربعًا وعشرين صفحةً حتى وجدت أربع أوراق بيضاء ، والكلام بعدها يختلف عمّا في المثنّى ، فهو من الإبدال ، ثم خامرني الظن بأنه إبدال أبي الطيب فرجعت إلى (باب الإبدال) من المزهر ، فألفيت السيوطيّ ينقل امثلةً للابدال من كتاب ابن السكيت وحده ، ويذكر إبدال أبي الطيب وشيئاً من مقدمته ، ولو أنّه عكس القضيةَ لأزال اللبسَ ولشفى ما في النفس وذلك كما فعل (٢/ ٣٩٥) في كلامه على (معرفة الطبقات) إذ نقل كثيراً من مراتب النحويين لأبي الطيّب ، ولم ينقل عن

(١) وحين تقدمت بالسيوطي السن وأحس بالضعف حجرَ الإفتاء والتدريس ، واعتزل الناس و (تقاعد) في منزله متجرداً للعبادة والتصنيف وألّف في ذلك كتابه (التنفيس في الاعتذار عن الفتيا والتدريس) .

الزبيدي أو السيرافي شيئا ؛ وبقيت على ظنّي هذا الغالب لوجوده في مجموعة بخط واحد وأول كتبها لأبي الطيّب ، ولا أدري كيف أذعت أن الكتاب هو إبدال أبي الطيّب اللّغوي لا المثنّى ، الذي كنت قد سألت العلماء بالكتب عنه كالشيخ راغب الطباخ الحلبيّ والمستشرق الكبير سالم الكرنكويّ ، فأكّدا لي أن نسخة المثنى التي عثرت عليهـا هي الوحيدة في مكاتب العالم ، وكذلك كان الجواب عن الإبدال الذي ننشره اليوم ، وعلى الرّغم من ذلك نشرت أمثلةً منه ثم ترجمةً لأبي الطيب في مجلة المجمع العلمي العربي !

وشرعتُ في طبع الإبدال ، وأنا منه في شكٍّ مريب إلى أن انتهى الجزء الأول ، وأخذت في كتابة التوطئة الى إبدال أبي الطيّب ، وفي كتابة ترجمة له مفصّلة ، واعتذرت لنفسي بأني أُقدّم الكتاب لعلماء اللغة ، وأذكر لهم أني لست على يقين من صحة نسبة هذا الإبدال لأبي الطيّب إذ لم يتوفّر لديّ شيء من أدلة الإثبات ؛ على أني قد بذلت جهدي لمعرفة صاحب الكتاب ، وسألت عنه كثيراً من علماء اللغة ، ونشرت عنه في مجلة المجمع ، ولم أستفد غير بقاء الشك شيئا !

وكيف لا يُشكّ في حقيقة الكتاب ، وبه بتران من أوله وآخره ، وخرم من أوسطه ، فهو كتمثال أثريّ كشفت عنه المعاول : مَقطوعَ الرأس مبعوجَ البطن ومَبتور القدمين ، وبالرأس وحده يُسفر وجهُ اليقين : إذ فيه عنوان الكتاب واسم مصنّفه ، وفي مقدمته تأكيد لذلك غالباً ، وفي خاتمته تاريخ نسخه واسم ناسخه وبعض السماعات أو الاجازات ، ومن دون هـذه الشواهد الناطقة كيف تنجلي سُدفة الشكّ أو تنحسر ظِلال الإبهام ؟

وكأني سمعتُ هاتفاً يقولُ لي : انظر فيما نشرتَ من حواشي الكتاب ، فإنّ من عادة المحشّين أن يناقشوا المؤلفين ، فرجعتُ الى

تلك الحواشي أتقرّاها فما لبث أن صرّح لي الحقّ عن محضه ، وزال من نفسي ولله الحمد ذلك الارتياب كله من الكتاب ، وفيما أنا ذاكره لك من الدلائل النيّرة أو اللوائح المسفرة ما فيه قناعة المرتاب وفصل الخطاب .

١ – جاء في الصفحة ١١٩ من هذا الكتاب ، وفي الحاشية الثانية منها لابن مكتوم ما نصّه : (أهمل أبو الطيّب ، (التاء والضاد) ومنه : بتكه وبَضكه : إذا قطعَهُ ...) ، وأبو الطيّب كنية المصنّف ، وقد أهمل بالفعل هذا البابَ كما تشاهده بيّنًا في الصورة رقم (٣) : فأنت فيها ترى بابيْ التـــاء والصّاد ، والتاء والطّاء ، ولا تبصر بينهما باب (التاء والضّاد) ،

٢ – وجاء أيضًا في الصّفحة ٣٦٨ من هذا الكتاب ، وفي الحاشية الثانية أن فيما أهمله أبو الطيب (تحدّاه وتحرّاه) ، قال ابن مكتوم في آخر حاشيته هذه : (وأهمل ذلك عبد الواحد) ، وعبد الواحد هو أبو الطيب وقد أهمل بالفعل هذين الحرفين ، ولم يذكرهما في باب (الدال والرّاء) ، وهذه الحاشية تراها في الصورة رقم (٦) على يسار باب (الدال والزاي) .

٣ – وجاء مثل هذه العبارة الشاهدة (وأهمله عبد الواحد) في الصفحة ٣٩٣ والحاشية الثانية ، وأبو الطيّب عبد الواحد قد أهمله فعلًا ، وفي الصورة رقم (٦) ما أغنى عن تصوير هذه العبارة لأنها شبيهتها .

٤ – وفي آخر الصفحة ٣٦ ينقل ابن مكتوم عن الجوهريّ الكلام على (ويب وويل) ويقول ما نصّه : (وقـــد أهمل ذلك الشيخ عبد الواحد الحلبي) ، وهو أبو الطيب عينه ، وقول ابن مكتوم هذا هو عين اليقين فقد أهمل كتابُ الإبدال فعلًا هـذين اللفظين ، وتجد هذه الحاشية في الصورة رقم (٢) على يمين (الباء والميم) ، وفي السطرين الاخيرين منها اسم الشيخ عبد الواحد الحلبي ؛ هذا وليس بين علماء اللغة

من اسمه (عبد الواحد بن علي) غير المعروف بابن بَرهان . ولكنه العكبريّ لا الحلبيّ ، وأبو القاسم لا أبو الطيب وشتان ما هما !

٥ ـ ثم جاء في الصفحة ٢٥٨ والحاشية الأولى لابن الشحنة في الكلام على (جَمجام وحَمحام) ما نصه : (وقد ذكره عبد الواحد في هذا الكتاب بالحاء في بابها) : أي ذكر (حمحام) بالحاء لا (جمجام) بالجيم كما وقع في (تعاقب العربية) لابن جنيّ ؛ فهذه الحاشية تدلنا على أمرين : على أن المصنّف هو عبد الواحد ، وعلى أنه صنف هذا الكتاب ، والتعبير بالإشارة أصدق عبارة ، وأوضح من ذلك في الدّلالة وأقوى قوله : (وذكره بالحاء في بابها) أي ذكر (جمجام) بالحاء المهملة في باب (الحاء والهاء) ، وقد ذكره بالفعل في هذا الباب في الصفحة ٣٢٥ من هذا الكتاب ، وليس وراء ذلك شكٌّ لمرتاب ؛ وتشاهد هذه الحاشية في الصورة رقم (٥) ، وهي مقلوبة على يمين باب (الجيم والميم) .

٦ ـ وهنالك أيضًا حاشية ثانية تحاكي هذه في الإشارة الى (هذا الكتاب) وهي في الصورة رقم (٧) مقلوبة على يمين (الصاد والطاء) ، ولم نتكلم عليها كالحاشية السابقة اختصارًا لعدم الحاجة إلى الكلام .

٧ ـ وليس في المزهر كله ما يستدلُّ به على (كتاب الإبدال) هذا إلاّ ما نقله السيوطيّ (المزهر ١/ ٥٥٥) من تذكرة ابن مكتوم في ذكر ما ورد بالرّاء والواو قال : الدُّودَمِس : ضرب من الحيّات ، قاله ابن سيده ، وقال ابن خلصة : الدُّرْدَمِس : رُباعيّ ، وليس له في الكلام نظير ، قال ابن مكتوم : (وفات ذلك عبد الواحد اللغويّ في كتاب الإبدال ، فلم يذكره في باب (الرّاء والواو) وهو من شرطه اهـ .

قلت : وستجيء حاشية ابن مكتوم هذه في باب (الرّاء والواو) من هذا الكتاب ، وقد فات بالفعل ذلك عبد الواحد اللغويّ كما ذكره في تذكرته ابن مكتوم .

ملاحظة . — في الصورة رقم (٣) يرى الناظر فوق الحاشية اليمنى والسفلى رمز الكاف المبسوطة (ﻙ) على أنها حاشية لابن مكتوم ، ويرى هذا الرمز ايضاً على حواشي الصورة رقم (٤) ؛ وفي الصورة رقم (٣) ترى الحاشية اليسرى العليا وأولها رأيت بخط أبي بكر بن الأنباري رحمه الله في المجرد لكراع ، وآخرها : نقلته من خط رضي الدين الشاطبي . وفي الصورة رقم (٦) يلاحظ في آخر الحاشية العليا : (من حواشي الصحاح لابن برّي) وفي آخر الحاشية التي تحتها ما نصه (قاله ابن السيّد رحمه الله قال ذلك الشاطبي ومن خطه نقلت) ؛

وفي الصورة رقم (٤) يرى الناظر آخر الحاشية العليا : (ذكر ذلك ابو عمر الزاهد في كتاب اليواقيت من تأليفه ؛ ويرى على يسار (ابدال الجيم) ما يدل على معارضته هذه النسخة بأصلها لتصحيحها : (بلغ العرض بأصله فصحّ) .

أما وقد أقمتُ من الدلائل الكافية والشواهد الشافية ما أعتقد أني به أستطيع أن أهدي كتاب الإبدال لحجة العرب أبي الطيب اللغوي إلى من يقدره قدره من الواقفين على أسرار العربية فإنه لا يسعني مع ذلك وقبل جفاف القلم إلاّ أن أشكر لمجمعنا العلمي العربيّ إقراره نشر كتاب الإبدال وأن أثني على أمانة سرّه العامّة لعنايتها بإخراجه بهذه الحلّة الفاخرة من الطّبع المشرق المتقن ، والحرف الواضح المشكول ، كما أرى من جزاء الإحسان أن أشكر لرئيس مجمعنا العلمي العالم المحقق أخي وصديقي الأمير مصطفى الشهابيّ الذي أمدّني أثناء طبع الكتاب بخبرته العلمية ، كما أعانني بمعجمه الزراعيّ على تحقيق ألفاظه النباتية ، فالله يحفظه ويُبقيه ، ليَرى المجمع العلمي واللغة العربية على عهده ما يشبه الأمل فيه .

★ ★ ★

صفة نسخة الابدال . — إن المجموعة الخطيّة التي تضمّ كتاب الإبدال هذا والمثنّى والإتباع هي مجلّدة تجليدًا عربيًا قديمًا ، ومؤلّفة من ١٣١ ورقة ، والإبدال وحده يتألف من ١٠٧ ورقات مقاسها (٢٥ × ١٦) ، ومسطرتها ١٩ سطرًا ، ومعدّل السطر منها تسع كلمات ، والورق صقيل ضارب إلى الصّفرة قليلًا .

أمّا خط المجلّدة كلها فهو من النسخيّ المتقن الراجع عهده إلى القرن السادس أو السابع ، وبه ميل إلى القاعدة الأندلسية ، وهو لناسخ واحد لم يتغير خطه في المجلدة كلها ، وقد ضبطه بالشكل الكامل الصحيح ، والحروف المشتركة في الصورة كالحاء والعين وضع تحت الحاء منها حاء صغيرة مكان النقطة من الجيم ، وتحت العين رأس عين صغيرة لإثبات حقيقة كل منهما بدفع اللّبس ، فإن كان للحرف ضبطان بالفتح والكسر مثلا ضبطهما بهما جميعًا ، ممّا امتازت به طريقة الناسخين من حُذّاق العلماء .

وأما خط الحواشي فمختلف ، وأكثره من التعليق المعروف ، وقد نصل حبر بعضها ، ومنها ما كاد يكون مطموسا ؛ ولكن الله أعان بخبرة بالخطوط وبالعدسيّة المكبّرة على استخراجها وقراءتها ، ما خلا كلمات منها ، ولربّما قرأنا الحاشية بكلمة باقية منها كأن تشير إلى الصحاح مثلًا ، وبمراجعته كان يتّضح لنا ما كان خفيًا .

وكما أعان الله على قراءة الحواشي ونشرها كاملة ، حاولنا أن نعزو ما في كتاب الإبدال من الشواهد ، وهي نحو ٥٩٠ شاهدًا من كلام العرب ، والمعزوّ منها نحو نصفها ، والذي عزوناه نحو ٢٠٠ شاهد ، وما بقي ظلّ بلا عزو ، وإنما حرصت على عزوها لأن من العلماء من لا يرى حُجّة في الشعر لا يُعلم قائله ، على أن ابن هشام يقول : ولو صحّ ما قالوه لسقط الاحتجاج بخمسين بيتًا من كتاب سيبويه ظلّت مجهولة

القائلين ؛ وفي إبدال يعقوب ١٩٠ شاهداً وكثير منها بلا عزو ، وبذلك تزيد شواهد أبي الطيب على شواهد يعقوب بنحو ٤٠٠ شاهد ، وكنا في عزونا للشعر ننسبه إلى صاحبه أو قبيلته أو راويه الثقة ، ونميّز الاسلامي من الجاهليّ ، وضممنا إلى البيت ما يتوقف عليه معناه ، فإن كان من شعر نادر أوردناه كاملا وضبطناه وشرحنا مشكله ليعم نفعه .

وذكرنا من صفة هذه النسخة أنها كانت مبتورة الرأس والقدمين ، ومخرومة الوسط وقدرنا ما نقص كله بسبع ورقات ، والخرم الأوسط منه ورقتان أي أربع صفحات مبدؤها أول باب (الضاد والعين) ومنتهاها قبيل باب (الطاء والظاء) .

وهناك في الزاوية اليسرى من طرة المثنى إشارتان إلى صاحبيْ أكثر حواشي المجموعة ، وإحداهما فوق الأخرى ، وعبارة عليهما : (هذه الحواشي أكثرها بخطّ ابن الشحنة رحمه الله) ، وهي التي رمزنا إليها في الكتاب بالنجم (★) منفردًا ، وعبارة السفلى تحتها : (أكثر الحواشي بخطّ ابن مَكتوم القَيسيّ تلميذ أبي حيّانَ خصوصاً ما كان عليه صورة ﻙ) ؛ ومن حواشيه ما ليس موسومًا بالكاف المبسوطة دلّنا عليها رسمُه الخاصّ لبعض الأحرف ، وكثير من ألفاظ حواشيه المتعاقبة منقول من يَواقيت شيخه أبي عُمر الزاهد ، ثم من أمالي ثعلب ومن العُباب والمحكم والجمل والصّحاح والفائق وغيرها ؛ كما أنّ كثيرًا من حواشي ابن الشحنة نُقلت من خطّ الإمام رضي الدين الشاطبيّ شيخ ابن المكرم صاحب اللسان (١) ،

(١) محمد بن علي الشاطبي الأنصاري اللغوي ، ولد ببلنسية (٦٠١ ـ ٦٨٤ هـ) وأخذ عن ابن المقيّر والبهاء الحميريّ ، وروى عنه أبو حيّان والمزّي والقطب الحلبي وغيرهم ، وكثيراً ما يذكره ابن المكرم في لسانه كقوله في مادة (ربح) : ورأيت في حواشي ابن برّي بخط سيدنا الإمام العلامة الراوية الحافظ رضي الدين الشاطبي وفقه الله ، وإليه انتهى علم اللغة في عصره نقلاً ورواية وتصريفاً اهـ ؛ وكثير من تعليقات ابن الشحنة نقلها من خط الرضي الشاطبيّ وطرّز بها حواشي هذا الكتاب رحمها الله .

ثم من كتب كُراع وابن القطّاع ، وأمالي ابن الأنبـــاري وحواشي ابن بَرّي وغيرها .

وعلى بعض الحواشي صورة ث ، ولمّا نعرف صاحبها ، وبعضها بخطّ أحمر لا يشبه خط ابن مكتوم ولا ابن الشحنة ، وهي تنقل من حواشي الصحاح لابن بَرّي ؛ ومن خواتم الحواشي الدّالة على مظانها الأمثلة التالية : قاله رضيّ الدين الشاطبيّ ومن خطه نقلتُ ، أو رأيته بخط رضيّ الدين الشاطبيّ على شرح المفصّل للزمخشري ، ووجدت بخط ابن القطّاع كذا ، وفي المجرّد لكراع بخط أبي بكر محمد بن القاسم بن بشّار الانباري ، وذكر ذلك أبو عُمر الزاهد في كتابه اليواقيت من تأليفه ، ونحو ذلك مما يدلُّ على شأن نسخة كتاب الإبدال ، ومبلغ اهتمام العلماء الثقات بها .

ومَن هو ليت شعري ابن الشحنة هذا الذي أشارت إليه الإشارة العُليا ؟

إن آل الشحنة أسرة حلبيّة ثقفيّة المحتد وعريقة في الفضل والمجد ، اشتهر منها في الشهباء أربعة : الأول أبو الوليد محمد بن محمد ، والثاني احمد بن محمد ، والثالث ابو الفضل المحبّ محمد بن محمد ، والرابع أبو البركات السّريّ عبد البر بن محمد ؛

والظن الراجح أن صاحب الحواشي منهـــم هو الثالث محب الدين محمد بن محمد المعروف بابن الشحنة الصغير (٨٠٤ - ٨٩٠ هـ) الذي وُلّي القضاء بدمشق والقاهرة مرارًا ، وكتابةَ السرّ بمصر على عهد الأشرف قايتباي ، وألّف في الفقه والحديث والتاريخ ، واشتغل باللغـــة فشرح خطبة القاموس للمجد اللُّغويّ ، وكان مولعاً بكتب اللغة والتعليق عليها ؛ وقد يكون صاحب الحواشي الرابـــعَ منهم ، وهو سريّ الدين عبد البر ابن محمد (٨٥١ - ٩٢١) فقد اشتغل أيضًا بالأدب واللغة ، وله كتاب غريب القرآن .

أمّا أول من ظفر بهذه المجموعة الخطية وعلّق عليها فلعلّه كان أحمد ابن عبد القادر القيسي المعروف بابن مكتوم (١) ، والظاهر أن هـذه المجلّدة رحلت من موطنها الأول حلب في أواخر القرن السابع أو أوائل الثامن ، وأنها وقعت في يد ابن مكتوم كهلًا ، وهو عربيّ مصريّ مولع باللغة والتعليق على نفائس الكتب وترجمة أصحابها بخطه كما ذكر ذلك ابن حجر العسقلانيّ ، فعرف ابن مكتوم قدرها ، وعلق على جميع ما فيها ؛ وبعد وفاته بقيت في القاهرة حتى قدم اليها أبو الوليد ابن الشحنة قاضياً سنة ٧٩٠ للهجرة : أي بعد وفاة ابن مكتوم بنحو أربعين عاما ، ثم رجع أبو الوليد الى حلب والمجلّدة ضمن كتبه ، وتوفي فيها سنة ٨١٥ هجرية .

وإن ثبت أن ابنه المحب « ابن الشحنة الصغير » هو صاحب الحواشي الحلبية ، لأنه كان لغويًا وشرح خطبة القاموس ، وهو ما نرجّحه ، إن صحّ ذلك فالأمر لا يعدو حالين : إمّا أنه علّق عليها في حلب ، وهي في كتب أبيه ، أو علّق عليها في القاهرة بعد أن تولّى كتابة السرّ فيها للمرّة الأولى (٨٥٧ هـ) ، أو بعد أن تولّاها للمرة الثانية مع القضاء (٨٦٦ هـ) ، ثم بقيت بعد وفاة المحبّ ابن الشحنة في القاهرة

(١) وهو تاج الدين أبو محمد (٦٨٢ ـ ٧٤٩) عالم مصري برع في اللغة والأدب والنحو والفقه والتفسير ، لازم شيخه أبا حيان ، وكان مولعاً بالتاريخ وبالتراجم حتى قال ابن حجر في الدرر الكامنة : رأيت منه الكثير بخطه ، وقلّما وقفت على كتاب من الكتب الأدبية من شعر وتاريخ إلاّ وعليه ترجمة مصنف الكتاب بخط ابن مكتوم هذا ، ومن كتبه : الجمع بين العباب والمحكم في اللغة ، والمشوف المعلم في تلخيص الجمع بين العباب والمحكم ، شرح الشافية والكافية لابن الحاجب ، شرح الفصيح لثعلب ، قيد الأوابد ، الدرّ اللفيط من البحر المحيط (خط) ، مختصر تفسير أبي حيان ، والتذكرة التي اعتمد السيوطي عليها في تأليف بغية الوعاة ، والجمع المتناه في أخبار اللغويين والنحاة وغيرها .

إلى أن أتاها من حلب سَريّ الدين عبد البرّ ابن الشحنة (٨٥١ – ٩٢١ هـ) ليتولىّ قضاءها ، وكان جليس السلطان الغوريّ ، فانتقلت المجموعة المجلّدة إليه وراثةً أو شراءً ، وكان في الدّين واللّغة فقيهًا ، وله غريب القرآن ؛ وليس ما يمنع انه هو صاحب الحواشي ، وكان معاصرًا للسيوطيّ صاحب المزهر ، ومن غالب الظن أنه أطلعه على هذه النسخة ، ولعلّ ممّا يدل على ذلك تقدير السيوطيّ لحجم كتاب الإبدال ، فقد جاء في المزهر (١ / ٦٠٤) عند الكلام على حدّ الإبدال ما نصّه : « وليعقوب فيه كتاب معروف ، ولصاحبنا أبي الطيّب فيه كتاب عشرة أمثال كتاب يعقوب ، فإنه جاء به على حروف المعجم » ، قلت : فلو فرضنا أن كتاب يعقوب مؤلف من ٣٠٠ لفظة متعاقبة ، فإبدال أبي الطيّب يشتمل على نحو ٣٠٠٠ لفظة بدليّة على هذا التقدير ؛ وبعد وفاة السري ابن الشحنة يجوز ان هذه المجموعة انتقلت بالوراثة الى حلب ، ومنها في زمن مجهول أو من القاهرة رحلت الى دمشق ، ثم دخلت خزانة احدى مدارسها ، او إحدى الخزائن الخاصة ، ولبثت فيها إلى أن زارها محمد امين المحبيّ (– ١١١١ هـ) في مطلع القرن الثاني عشر ، فظهرت له هذه المجموعة ، وظنها (كتاب المثنى) وهو اسم الرسالة الاولى منها ، ولعلّه هو الذي أوحى إليه تأليف كتابه (جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين) الذي أتمّه سنة ١١١٠ للهجرة قبيل وفاته ، وأشار فيه إلى مثنّى أبي الطيب اللغوي في الصفحات (٧ ، ١٠٧ و ١٢٨) ، بل نقل منه إلى (جنى الجنتين) ستة عشر سطراً من باب (الاثنين في اللفظ يراد بها واحد) ، ثم لم يذكر هذه المجموعة بعد المحبيّ احد من علماء دمشق ، وانتقلت اخيراً بإحدى الطرق إلى مكتبة محمد امين عابدين صاحب الحاشية ، ومنها إلى مكتبة مفتي الشام ابي الخير عابدين ؛ ولعله قد كُتب لشيخنا الطاهر الجزائريّ يوماً ان يزوره [1] فأطلعه على هذه

(١) هذا إن كان هو الذي وصف كتاب المثنى في مجلة المقتبس .

المجموعة اللغوية ، ورأى رسالتها الاولى (كتاب المثنّى) لحجة العرب ابي الطيّب اللغويّ فظنّ أن هذا الكتاب يملأ المجموعة كلها ، وهي تتألف من ١٣٠ ورقة ، على أن المثنى لا يتألف إلا من ١٤ صفحة ؛ وكان الشيخ طاهر مستشار المجلة في المخطوطات ، وهو الذي يصفها أو يوعز بوصفها، فلعلّه هو الذي كتب وصفًا للمثنى في المجلد الخامس من مجلة المقتبس في الصفحة ٤١٥ ، ونقل من مقدمة المثنى ومن رسالة الاتباع أمثلة كثيرة ، ثم ظهرت له الورقات الاربع البيضاء ، ونقل مما بعدها أمثلة من ألفاظ لغوية لم يذكر أنها من الإبدال ولا فرّق بينها وبين المثنى ، فقال في ذلك ما نصه : « وجاءت بعده قطعة أخرى في اللغة على تلك الشاكلة ، لكنها تتجاوز ثلاثة أرباع الكتاب » .

إن هذه القطعة الأخرى في اللغة هي (كتاب الابدال) المجهول الذي وفقنا الله لاكتشافه ، ولكنه ليس على شاكلة المثنى كما ذكر ، وشتان ما هما ! ، وبعد أن ذكر الواصف ان نسخة المثنى قديمة ، وحسنة الخط بالشكل الكامل ، وأن الصحة غالبة عليها ، ورجّح أنها مما كتبت في القرن السابع ختم وصفه بقوله : (وهكذا نجد الكتاب من أوله إلى آخره سلسلة فوائد لغوية حريّة بالتدبر والاستظهار ، فعسى أن تصح عزيمة بعض الطابعين أو المؤلفين على نشره ليضاف إلى المجموعة اللطيفة التي طُبعت مؤخراً من كتب اللغة ...) ، ولا ريب أن وصفه هذا ينطبق على هذه المجموعة اللغوية لأنها مؤلفة من ١٣٠ ورقة كما ذكر .

وقد ظلّت هذه المجموعة النادرة مهملةً بعد تعليقات ابن الشحنة ، لأنا لم نجد بين حواشيها من بعده شيئًا صريحًا من تعليق علماء دمشق ، فقد ضعف شأن الأدب واللغة العربية بعد احتلال الاتراك للديار الشامية والمصرية ، وضعف معه شأن الحياة كلها ؛ وهذا هو السبب الذي من

أجله لم يجد (كتاب الابدال) المبتور أولُه وآخره من يبحث عن حقيقته ، ولا عن مصنفه ، فلم يشر المحبي الذي اطلع في غالب الظن على هذه المجموعة اللغوية إلى ما فيها من ألفاظ الابدال ، ولا عرف واصفُ المثنى في المقتبس ان ما بعد المثنيات هو من الابدال ، ولا بحث عن مؤلفَ الفاظه المتعاقبة ، وبذلك بقي (كتاب الابدال) مجهولاً منذ وصفه في المقتبس سنة (١٣٢٨) للهجرة إلى يوم الناس هذا ، فلنا وحدنا ولله الحمد مَردُّ كشف امره ، وللمجمع العلمي العربي الشكر لحملنا على تحقيقه ونشره .

ذكرنا ان ورقة الطرّة من كتاب الابدال قد ضاعت بالبتر الأول ، وضاع معها اسم الكتاب ومقدمته التي ذكر السيوطيّ في مزهره (١/٤٦٠) جزءًا منها ، ولم نستحسن نشر هذا الجزء أول الكتاب لأن المقدمة بتراء ، فأخرنا نشره إلى هذا الموضع من (صفة نسخة الابدال) قال أبو الطيب من مقدمة ابداله المبتورة :

« ليس المراد بالابدال أن العرب تتعمّد تعويض حرف من حرف ، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة ، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنًى واحد حتّى لا يختلفا إلا في حرف واحد ، قال : والدليل على ذلك ان قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورًا مهموزة ، وطورًا غير مهموزة ، ولا بالصّاد مرة وبالسين اخرى ، وكذلك إبدال لام التعريف ميمًا ، والهمزة المصدّرة عينًا كقولهم في نحو أَنْ (عَنْ) ، لا تشترك العرب في شيء من ذلك ، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون . » انتهى

★★★

مثال من اغلاط الابدال . — إن الاخطاء القليلة التالية ، كلها من سهو الناسخ الفاضل : لأن جميع ما نسخه من أبواب الإبدال يدل على علمه واتقانه ، وصحة ضبطه وإحسانه ، واكثر ما يقع في المخطوطات من الخطأ هو من مسخ النسخ وجهالة كاتبيها ؛ فمن سهو الناسخ :

١ – قد يذهل ناسخ الإبدال عن ضبط النقط كما وقع له في باب (التاء والطاء) فقد جاء فيه (تَمنّى الرجل يَتَمنّى تَمنّيا ، وتَمطّى يَتَمطّى تَمَطّيًا) ، والصواب : (تمتّى) بالتاء المثناة الفوقية لتعاقب (تمطّى) والإبدال كثير الوقوع بين التاء والطاء (كمت ومط) لا النون والطاء .

٢ – وفي باب الجيم والشين ص ٢٢٨ :
(ونَطعنُ إن أشِئْتُ الى الطِعانِ) ، وصواب الرسم (أشِئْتُ) بحذف الياء لالتقاء الساكنين .

٣ – ومنها ما جاء في (الجيم والضاد) ص ٢٣٢ قول الراجز في الأصل (للمخض جوفكِ) ورواية اللسان (تى) ليُمخضن جوفكِ) ، وفي تا : لتَمخضن ماءكِ) ، وفي التهذيب : وكان الراجز يستقي ويرتجز على رأس البئر ويخاطبها .

٤ – وفي باب (الحاء والخاء) ص ٢٦٩ وأنشد :
(أنت ابن أرْوَى القادحين قَدْحا) وصواب الرواية: (أنت ابن أَوْرَى القادحين قَدحا) إذ لا يقال : فلان أرْوى زندًا من غيره ، بل أوْرى زَنْدًا ، والقَدْح : قدحُك بالزند لتُوري ، وقَدَحَ بالزّند : رام الإيراءَ به .

٥ – وجاء في (الحاء والعين) ص ٣٠٠ : (لَغْسًا حصد) ، وصوابه : لغتنا حصد : أي ان لغتنا (حصد) لأن لغة الأكثر (عصد) عن اللحياني .

٦ – وجاء في باب (الحاء والهاء) ص ٣٢٠ قول رؤبة :
(برّاقُ أصلادِ الجبينِ الأجْلهِ) ، و (برّاقُ) مرفوعة في الأصل، والصواب أنها منصوبة لأن الشطر الذي قبله : (لما رأتني خَلَقَ المُمَوَّهِ) .

٧ – وفي باب (الدال والعين) ص ٣٧٩ ما نصه :
(وهو المَدْسُ والعدْسُ) والصواب (المَعْس) لأن الإبدال هو هنا بين الدال والعين لا الميم والعين .

٨ – وفي باب (الدال والواو) ص ٣٩٤ : (اذا حَزرتَ عدوّهم) والصواب : عددهم .

٩ – وفي باب (الذال واللام) ما نصه : (إذا سَما فوق جَموحٍ مِكْنامْ) ومكنام بالنون ، وصوابها مِكْتام ، بالتاء المثناة الفوقية ، وفي اللسان (كتم) : وناقة كتوم ومكتام : لا تشول بذنبها عند اللّقاح ولا يُعلم بحملها ، قال الشاعر في وصف فحل :

(فهو لجَولان القِلاص شَمَّامْ إذا سما فوق جَموح مِكتامْ)

١٠ – وفي باب (الميم والنون) : وقال قوم ما نصه : (الغين البَأْسُ والغيم الأرضُ) ، وهذا التفسير غير بيِّن ولا صحيح ، وصواب التعبير ما جاء في (بس ١٧) وقال بعضهم الغين (إلْباسُ الغيم السماءَ) .

★★★

مراجع ترجمته وكتبه

الأعلام لخير الدين الزركلي الطبعة الثانية ١٩٦٠

أعلام النبلاء للشيخ راغب الطبّاخ ٤ / ٣٦

إيضاح المكنون لاسماعيل البغدادي ٢ / ٤٠ و ٢ / ٤٠٦

بغية الوعاة للسيوطي ٣١٧

درّ الحبب في تاريخ أعيان حلب لمحمد بن ابرهيم المشهور بابن الحنبلي (٩٧١ هـ)

عيون التواريخ لمحمد بن شاكر الكتبي (حوادث ٣٥١ هـ)

الغفران رسالة المعري لبنت الشاطىء ٥٤٤ (ط ثانية)

فهرس المخطوطات المصورة بالجامعة المصرية فؤاد سيد ١ / ٣٤١

كشف الظنون : مراتب النحاة (ص ١٦٥٠)

مجلة المقتبس المجلد الخامس : كتاب المثنى (ص ٤١٥)

معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : عبد الواحد العسكري ٦ / ٢١٠

هدية العارفين في أسماء المؤلفين لاسماعيل البغدادي

الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي (خ)

تاريخ الأدب العربي لبروكلمن (S. I : 190)

مجلة Z. D. M. G. ص ٥٦ و ٥٨

★ ★ ★

ثبت المراجع ورموزها

(ط) الطبعة (م) مصر وميلادية (ب) بيروت (د) دمشق (لب) ليبسغ
(ل) ليدن (★) رمز حواشي ابن الشجنة (★ ﻫ) رمز حواشي ابن مكتوم
(★ ع) رمز محقق الإبدال

بس إبدال ابن السكيت ط ب (الكنز اللغوي)
بغ بغية الوعاة ط م (السعادة) ١٣٢٦
بل معجم البلدان ط م
بلغ البلغة في شذور اللغة ط ب ١٩١٤
جم الجمحي طبقات الشعراء له
ح الحماسة ط م ١٣٢٥
خ الخزانة البغدادية ط م (السلفية) ١٣٤٧
خصا الخصائص ط م (الهلال والدار)
خمس الخمسة الدواوين ط ب
دلا دلالة الألفاظ لابراهيم انيس ط م ١٩٥٨
رجب أراجيز البكري ط م
س سمط اللآلي للميمني ط م ١٣٥٤
سر سر الليال للشدياق ط الأستانة
سرع من أسرار العربية لابرهيم أنيس ط م ١٩٥٨
سيب سيبويه الكتاب له ط م (بولاق)
سص سر الصناعة لابن جني ط م (البابي)
شا شرح أدب الكاتب للجواليقي ط م (القدسي)
شت الاشتقاق لعبد الله امين ط م
شجر شجر الدر لأبي الطيب اللغوي ط م (دار المعارف)
شحم شرح الحماسة للتبريزي ط م (التجارية)
شك شواهد الكشاف ط م (بولاق)
شمع شواهد المغني للسيوطي ط م (البهية)
شنص شعراء النصرانية ط ب
شه أشعار هذيل، أو ديوان الهذليين ط م (الدار)
ص الاصمعيات في مجموع أراجيز العرب ط ب
صا الصاحبي لأحمد فارس ط م (السلفية)
صم إصلاح المنطق ط م (دار المعارف)
صن أصول النحو للأفغاني ط د (الجامعة) ١٣٧٦
ضبر أضداد ابن الأنباري ط م ١٣٢٥
ضث الأضداد الثلاثة ط ب ١٩١٣
طر الطرائف الأدبية للميمني ط م ١٩٣٧
عق العقد الثمين (الستة) ط ب ١٨٦٩
غ الأغاني ط م (الدار)
فقه فقه اللغة للمبارك ط د (الجامعة)

فهر الفهرست لابن النديم ط م
في القتبي : الشعراء ط م
قض الاقتضاب للبطليوسي ط ب
ك الكامل للمبرد ط م (الخيرية) ١٣٠٨
كف كفاية المتحفظ ط حلب ١٣٤٣
لف ألفية ابن مالك ط م (الاستقامة) ١٣٦٣
مب معجم البلدان ط م
متا مختصر تهذيب الألفاظ ط ب ١٨٩٧
مجا مجمع الأمثال للميداني مع جمهرة العسكري ط م
مجث مجالس ثعلب ط م
مد معجم الأدباء ط م (دار المأمون) ١٣٥٥
مرت أمالي المرتضى ط م ١٣٢٥
مز المزهر للسيوطي ط م (بولاق أو الخاني)
مش معجم المرزباني ط م
مشج أمالي ابن الشجري ط م ١٩٣٠
مشح الموشح ط م (السلفية) ١٣٤٣
مشع مجموع أراجيز العرب لب ١٩٣٠
مع معاهد التنصيص ط م
مف المفضّليّات ط م (التقدم)
متى أمالي القالي ط م (الدار) ١٩٢٦
مقا مقاييس اللغة لابن فارس ط م (دار الإحياء)
ملك المكاثرة للطيالسي ط آستانة ١٩٥٦
مكل أمراض الكلام لمصطفى فهمي ط م (دار مصر)
مل مبادىء اللغة للاسكافي ط م ١٣٢٥
موخ المؤتلف والمختلف للآمدي ط م ١٣٥٤
نغ نظام الغريب للربعي ط م (هندية)
نوا النوادر لأبي زيد ط ب ١٨٩٤
نها النهاية لابن الاثير ط م (العثمانية) ١٣١١
همع همع الهوامع للسيوطي ط م (السعادة)
بزج ابدال الزجاجيّ (خط) للنشر

★ ★ ★

ت تاج العروس ط م (الخيرية) ١٣٠٦
ج الجمهرة لابن دريد ط حيدرآباد
سا أساس البلاغة ط م (الدار) ١٣٤١
ص الصحاح ط م (بولاق)
عل الأعلام للخير الزركلي (الطبعة الثانية) ١٣٧٥ هـ
ل لسان العرب ط م و ب
مخ المخصص لابن سيده ط م
مص المصباح للفيومي ط م

★ ★ ★

الصورة رقم (١)

اللحياني يقال ما أدري أي البرى هو ولي الذرى هو أي أي الناس
هو ويقال عنهلت الرجل أعنهله عنهلة وعزهلته أعزهله عزهلة
اذا تركته وسومه وابل عباهل وعزاهل لا راعي لها قال الراجز

أفرغ لهيم وردها أورادُ عباهل عنهلها الرُّوَّادُ

ويقال قوم عباهلة وعزاهلة اذا كانوا لا يريدون طلبك ومنه
الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى الأقيال العباهلة من
أهل حضرموت

الباء والراء

الاصمعي السبندى والسرندى الجريء المقدم قال الشاعر

فوسّد عندهم فوق أرجبي مرندى الليل منتشر اللبان

ابن الأعرابي يقال للذي توضع فوقه الثياب من أعواد مشبكة
المسجب والمسجر والجميع المساجب والمشاجر قال الراجز

لولا طفيل صانع العرائر وأنا والمعشر سيء بائر
علم رجل وشيخ دأمر كأنما عظامنا المشاجر

ويقال امرأة قحبة وقحبرة وهي العجوز المسنة ويقال رجل ضبس
وضبرس اذا كان داهية قال الدراهي عن أبي زيد وقال اللحياني
العربي والزرجيني من الحنطة اذا انقيت وهو دأم الجنابذ

رجل بخر

الباء والزاي

لبلّ هو زلزل وهو الخفيف الطريف قال الشاعر

إِمَّا تَرَيْنِي الْيَوْمَ مُخَّا سَاخِصَا أَسْوَدَ جِلْبَابًا وَكُنْتُ وَابِصَا
قَدْ طَلَبْتُ الطُّعْمَ السَّوَاخِصَا عَلَى فِلَاصٍ نَعَمِ الْمَرَاهِصَا

وَيُقَالُ بَعِيرٌ مُبَلْنِدٌ وَمُكَلْنِدٌ إِذَا كَانَ شَرِيرًا وَقَدْ بَلْنَدَرَى يَبَلْنَدِرِي
بِلَنْدَرَاءَ وَكَلَنْدَرَى يَكَلْنَدِرِي كَلَنْدَرَاءَ إِذَا اشْتَدَّ ۞ أَبُو عَمْرٍو
الْأَلْبَاكُ وَالْإِلْبَاكُ إِخْطَاءُ الرَّجُلِ فِي مَنْطِقِهِ وَغَلَطُهُ فِي
حُجَّتِهِ قَالَ وَمِنَ الْأَلْبَاكِ قَوْلُ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى ۞

رَدَّ الْخَلِيطُ جِمَالَ الْحَيِّ فَاجْتَمَلُوا إِلَى الْحَزِيرَةِ أَمْ بَانُوا لِيَأْلُكَا

وَقَدِ الْتَبَكَ عَلَيْهِ كَلَامُهُ وَالْتَكَّ وَحَكَى الْفَرَّاءُ أَفَلَّ وَلَهُ بَصِيصٌ
وَكَصِيصٌ أَيْ زَرْعٌ ۞

الْبَاءُ وَاللَّامُ

يُقَالُ أَصَابَ لَحْصَةَ عَيْنِهِ وَلَحَصَهُ عَيْنَهُ وَهِيَ نُخَمَةُ الْعَيْنِ وَالْجَمْعُ
اللَّحَصُ وَاللَّخَصُ وَيُقَالُ رَجُلٌ مِغْزَالٌ وَمِغْزَالٌ وَمِغْزَابَةٌ وَمِغْزَالَةٌ
إِذَا كَانَ يَتَبَاعَدُ عَنِ النَّاسِ وَيَنْفَرِدُ مِنْهُمْ وَلَا يُخَالِطُهُمْ وَيُقَالُ بَكَّهُ يَبُكُّهُ
بَكًّا وَلَكَّهُ يَلُكُّهُ لَكًّا إِذَا زَحَمَهُ وَالِكَاكُ وَالْأَلْكَاكُ وَالْمَالَكَةُ
وَالْمُلَاكَةُ الْمُزَاحَمَةُ ۞ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ يُقَالُ لِكُلِّ شَيْءٍ خُلِطَ بِشَيْءٍ قَدْ
عُبِّثَ بِهِ وَعُلِّكَ بِهِ وَقَالَ الْفَرَّاءُ ضَاصَتِ الْمَاءُ وَضَلَاصِلُهُ بَقَايَاهُ
الْوَاحِدَةُ ضَلْضَلَةٌ وَصُلْصُلَةٌ ۞

الْبَاءُ وَالْمِيمُ

يُقَالُ تَرِبَتْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَأَرْبَى أَحَدُهُمَا إِرْبَاءً وَأَرْبَى إِرْمَاءً

في أسفل حواشي هذه الصفحة اسم المصنف الشيخ عبد الواحد الحلبي

ضَرْبٌ بِدِ اللَّعَّابَةِ الطَّسِيسَا

وَيُقَالُ مَعَتُّ الأَدِيمَ أَمْعَتُهُ مَعْتًا وَمَعَسْتُهُ أَمْعَسُهُ مَعْسًا إِذَا دَلَكْتَهُ ، وَيُقَالُ فُسْطَاطٌ وَفَسَائِطُ وَفُسَاطٌ وَفَسَاسِيطُ لِلْفُسْطَاطِ وَيُقَالُ الفِسْطَاطُ بِالكَسْرِ أَيْضًا ، وَيُقَالُ رَجُلٌ نَارٌّ وَرَجُلٌ سَارٌّ وَرَجُلٌ نَرٌّ وَرَجُلٌ سَرٌّ إِذَا كَانَ طَوِيلًا تَامَّ الخَلْقِ وَحَكَى اللِّحْيَانِيُّ قَرْبُوسُ السَّرْجِ وَقَرْبُونُهُ ، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو يُقَالُ تَسَرَّعَ إِلَيْهِ وَتَنَرَّعَ إِلَيْهِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ ، وَحَكَوْا لَا سِيَّمَا وَلَا يَمَّا بِمَعْنًى وَاحِدٍ .

التَّاءُ وَالصَّادُ

يُقَالُ رَجُلٌ لِصٌّ وَقَوْمٌ لُصُوصٌ وَرَجُلٌ لِصْتٌ وَقَوْمٌ لُصُوتٌ قَالَ الشَّاعِرُ

وَكَمْ دُونَهَا مِنْ عَهْمَةٍ ذِي مَفَازَةٍ ... وَكَمْ أَرْضِ حَرْبٍ دُونَهَا وَلُصُوصُ

وَقَالَ الآخَرُ

فَتَرَكْتُ جَرْمًا غَيْلًا أَبْنَاؤُهَا ... وَبَنِي كِنَانَةَ كَالنُّصُوبِ المُرَّدِ

وَيُقَالُ رُخٌّ عَرَّاتٌ وَعَرَّاصٌ إِذَا كَانَ شَدِيدَ الِاهْتِزَازِ ، وَانْشَدَّ أَبُو عَمْرٍو

تَحْتَهَا البَيْضُ القَلِيلَاتُ الطَّبَعْ ... مِنْ كُلِّ عَرَّاصٍ إِذَا هَزَّ اهْتَزَعْ

قَالَ وَعَرَّابٌ أَيْضًا ،

التَّاءُ وَالطَّاءُ

يُقَالُ عَمَتَّهُ فِي المَاءِ يَعْمُتُهُ عَمْتًا وَعَمَطَّهُ يَعْمِطُهُ عَمْطًا ، وَيُقَالُ غَرَّبَ

بين التاء والصاد ، والتاء والطاء لا ترى باب (التاء والضاد) الذي أهمله بالفعل أبو الطيب

مَعْنَعَةً إِذَا لَمْ يَسْتَنْهُ وَلَمْ يُفْصِحْ بِهِ .

السِّينُ وَالبَاءُ

يُقَالُ أَبْقَتْ العِظْمَ أَنْقِيَهُ إِنْقَاءً وَأَنْقَيْتُهُ أَنْقِيهِ إِنْقَاءً إِذَا اسْتَخْرَجْتَ مُخَّهُ لِتَأْكُلَهُ وَكَذَلِكَ نَقَيْتُهُ أَنْقِيهِ وَنَقَّيْتُهُ أَنْقِيهِ وَفِي حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ وَلَا سَمِينٍ فَيُنْتَقَى وَبَعْضُهُمْ يَرْوِيهِ فَيُنْتَقَى . وَيُقَالُ نَاقَةٌ فَالِجٌ وَقَالِجٌ وَهِيَ السَّمِينَةُ زَعَمُوا .

هَذَا آخِرُ أَبْدَالِ السِّينِ .

أَبْدَالُ الجِيمِ

الجِيمُ وَالحَاءُ وَالرَّاءُ وَالزَّايُ وَالسِّينُ
وَالشِّينُ وَالصَّادُ وَالضَّادُ وَالطَّاءُ وَالظَّاءُ وَالعَيْنُ
وَالغَيْنُ وَالفَاءُ وَالقَافُ وَالكَافُ وَاللَّامُ وَالمِيمُ
وَالنُّونُ وَالهَاءُ وَاليَاءُ .

الجِيمُ وَالحَاءُ

الأَصْمَعِيُّ يُقَالُ تَرَكْتُ فُلَانًا يَجُوسُ بَنِي فُلَانٍ وَيَحُوسُهُمْ أَيْ يَدُوسُهُمْ وَيَطَأُ فِيهِمْ وَقَالَ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ يُقَالُ اجْسَسْ لِي خَبَرَ اجْسَاسًا وَاجْسُسْ اجْسَاسًا إِذَا بَحَثَ عَنْهُ وَعَنْهُ يُقَالُ أَجَمَّ الأَمْرُ وَأَحَمَّ الأَمْرُ أَيْ جَانَ وَقْتُهُ . قَالَ الشَّاعِرُ

جَبَّادُ لَكَ العَرَالَ الأَجَمَّا ... إِنْ يَكُ دَاكُمُ الفِرَاقُ أَجَمَّا

وَالسَّرَا الأَصْمَعِيُّ زُهَيْرٌ .

على يسار ابدال الجيم (بلغ العرض بأصله فصح) وفي الحاشية العليا اسم أبي عمر الزاهد صاحب اليواقيت

الصورة رقم (٥)

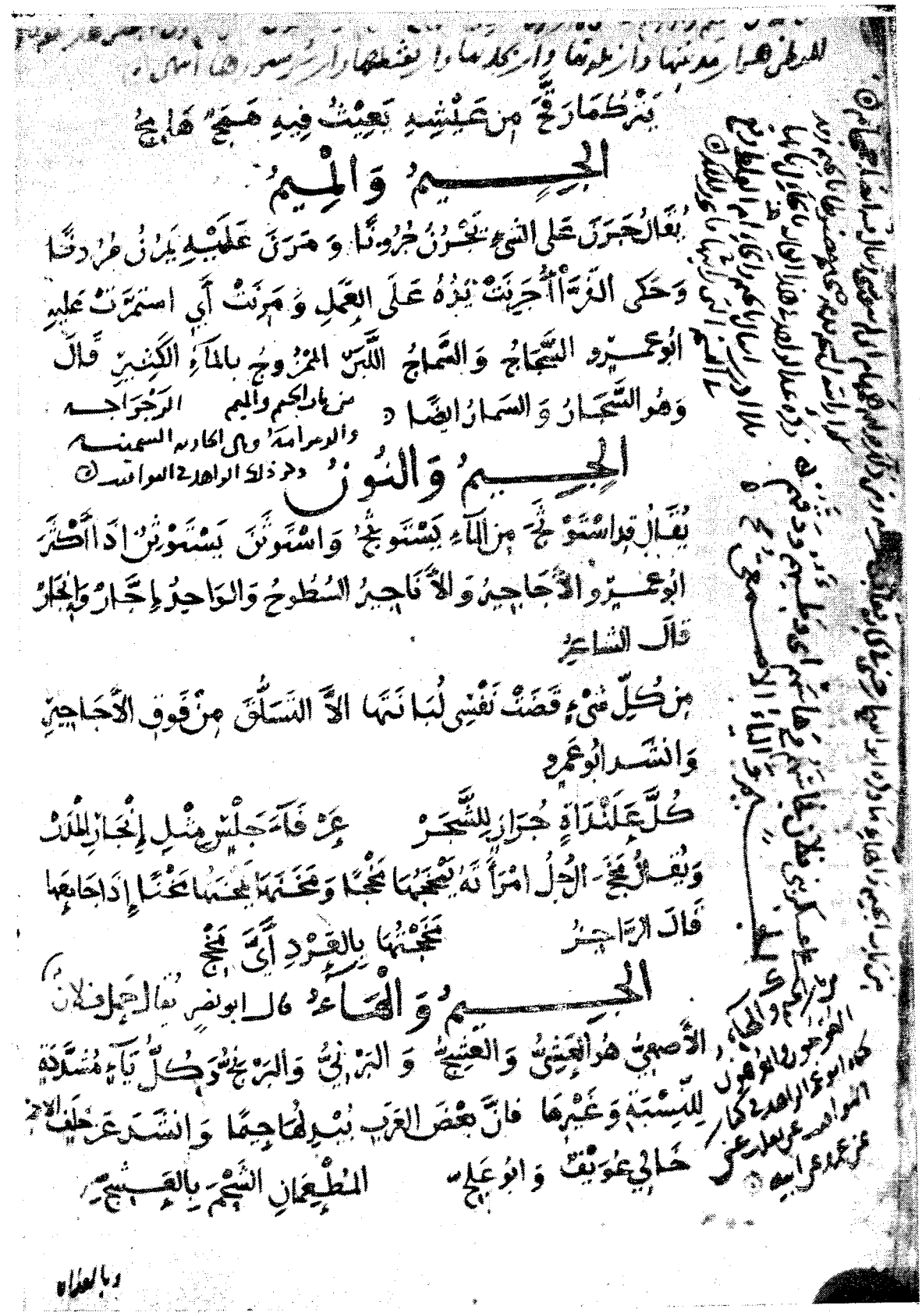

بَنُو كُمَارِجٍ مِنْ عَيْشِهِ بَعِيثٌ فِيهِ هَجٌ هَائِجُ

الجِيمُ وَالمِيمُ

يُقَالُ جَرَنَ عَلَى الشَّيْءِ يَجْرُنُ جُرُونًا وَمَرَنَ عَلَيْهِ يَمْرُنُ مُرُونًا وَحَكَى الزَّجَّاجُ أَجْرَنْتُ يَدَهُ عَلَى العَمَلِ وَمَرَنْتُ أَيِ اسْتَمَرَّتْ عَلَيْهِ أَبُو عَمْرٍو السَّجَاجُ وَالسَّمَاجُ اللَّبَنُ المَمْزُوجُ بِالمَاءِ الكَثِيرِ قَالَ وَهُوَ السَّجَارُ وَالسَّمَارُ أَيْضًا

الجِيمُ وَالنُّونُ

يُقَالُ قَدِ اسْتَوْجَنَ مِنَ المَاءِ يَسْتَوْجِنُ وَاسْتَوْنَنَ يَسْتَوْنِنُ إِذَا أَكْثَرَ أَبُو عَمْرٍو الأَجَاجِيرُ وَالأَنَاجِيرُ السُّطُوحُ وَالوَاحِدُ إِجَّارٌ وَإِنَّارٌ قَالَ الشَّاعِرُ

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَصَّتْ نَفْسِي لُبَانَتَهَا إِلَّا التَّسَلُّقَ مِنْ فَوْقِ الأَجَاجِيرِ

وَأَنْشَدَ أَبُو عَمْرٍو

كُلَّ عَلَنْدَاةٍ جُرَازٍ لِلشَّجَرْ عَرْفَاءَ جَلْسٍ مِثْلِ إِنْجَارِ المَدَرْ

وَيُقَالُ مَجَّ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ يَمُجُّهَا مَجًّا وَمَخَنَهَا يَمْخَنُهَا مَخْنًا إِذَا جَامَعَهَا قَالَ الرَّاجِزُ

مَجَّتْهَا بِالعَوْدِ أَيَّ مَجِّ

الجِيمُ وَالهَاءُ

قَالَ أَبُو نَصْرٍ يُقَالُ جَهِلَ فُلَانٌ الأَصْمَعِيُّ هُوَ العَشَجُّ وَالعَشِجُّ وَالبَزَجِيُّ وَالبَزَجُ وَكُلُّ يَاءٍ مُشَدَّدَةٍ لِلنِّسْبَةِ وَغَيْرِهَا فَإِنَّ بَعْضَ العَرَبِ يُبْدِلُهَا جِيمًا وَأَنْشَدَ عَرْفَجَ الأَعْرَجِ

خَالِي عُوَيْفٌ وَأَبُو عَلِجْ المُطْعِمَانِ الشَّحْمَ بِالعَشِجْ

وبالعداء

على يمين (الجيم والميم) عبارة (وقد ذكره عبد الواحد في هذا الكتاب)

وَدُونَ لَيْلَى بَلَدٌ سَهْرَرُ وَمَهْمَهٌ بِأَلِهِ مُوَرَّرُ

وَالرَّجَامِسُ وَالدَّجَامِسُ السَّدِيدُ وَبِهِ سُمِّيَ الْأَسَدُ الدَّجَّاجُ

قَالَ الرَّاجِزُ ذُو لَخْوَةٍ رَجَامِسٌ عُرْضِيُّ

وَيُقَالُ سَهْرَ يَسْهَرُ وَسَهِرَ يَسْهَرُ إِذَا أَرِقَ. قَالَ الْأَعْشَى

أَرِقْتُ وَمَا هَذَا السُّهَادُ الْمُؤَرِّقُ وَمَا بِيَ مِنْ سُقْمٍ وَمَا بِيَ مَعْشَقُ

أَبُو مَالِكٍ الدَّجَّانَةُ وَالسَّجَّانَةُ الْإِبِلُ الَّتِي يُحْمَلُ عَلَيْهَا الْمَتَاعُ وَقَالَ

أَبُو زَيْدٍ اللَّوَدِيمُ وَالرَّوَدِيمُ وَالدَّوَدِنُ وَالرَّوَدِنُ لَحْمُ الْأَحْوَيَيْنِ

قَالَ وَحَكَى لِي أَعْرَابِيٌّ هُوَ سَيِّءُ الْخُلُقِ بَطَلٌ بِهِ وُجُوهُ الصِّبْيَانِ مِنَ

الْخَافِي أَيْ مِنَ الْجِنِّ الْيَزِيدِيُّ طَوَّرْتُ النَّاقَةَ أُطَوِّرُهَا طَرْدًا

وَطَوَّرْتُهَا أُطَوِّرُهَا طَرًّا بِمَعْنًى وَاحِدٍ

الدَّالُ وَالزَّايُ

أَبُو عَمْرٍو يُقَالُ هُوَ بِإِدَابِهِ وَبِإِزَابِهِ الْكِسَائِيُّ فَرَأَرْدَغَبَ الْأَرْضَ

وَأَرْزَغَتْ وَهِيَ الرَّدْغَةُ وَالرَّزْغَةُ وَالرَّدْغَةُ وَالرَّزْغَةُ

بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّثْقِيلِ وَيُقَالُ مَرَّ بِالرِّيحِ وَهُوَ مَرْكُورٌ فَامْتَرَعَهُ

وَامْتَزَعَهُ أَيِ انْتَزَعَهُ وَيُقَالُ مَا سَمِعْتُ لَهُ دَجْمَةً وَمَا سَمِعْتُ لَهُ

رَجْمَةً أَيْ مَا سَمِعْتُ لَهُ كَلِمَةً وَيُقَالُ دَجَتِ الْإِبِلُ تَدْجُ دَجًا وَرَجَتْ

تَرْجُ رَجًا إِذَا اسْتَنَّتْ وَهِيَ إِبِلٌ "دُجٌّ" وَ"رُجٌّ" قَالَ السَّاعِرُ

تَسَائِلُنَا مَنْ دَا أَضَرَّ بِهِ التَّنَحِّي فَقُلْتُ إِلَيَّ لَا أَبَا تَقُومُ مِنَ الدَّجِّ

على يسار الدال والزاي حاشية ﴿ لابن مكتوم ، وفي آخرها ترى (وأهمل ذلك عبد الواحد)

وَضَمَضَمٌ وَصَامِمٌ وَصَامِجٌ اِذَا كَانَ جَرِيًّا مَاضِيًا وَيُقَالُ
بَصَعَ الْعَرَقُ وَبَصَعَ اِذَا رَشَحَ وَتَبَصَّعَ وَتَبَصَّعَ اَيْضًا كَذَلِكَ
قَالَ السَّاعِرُ وَهُوَ اَبُوذُؤَيْبٍ وَصَدْرُهُ تَأْبَى بِدِرَّتِهَا اِذَا اسْتُفْضِبَتْ

اِلَّا الْحَمِيمَ فَاِنَّهُ يَتَبَصَّعُ

الرِّوَايَةُ بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ
وَكَانَ الْخَلِيلُ يَرْوِيهِ بِتَبَصَّعُ بِالصَّادِ غَيْرِ الْمُعْجَمَةِ وَقَالَ اَبُوحَاتِمٍ
الْحَصَبُ وَالْحَضَبُ كُلُّ شَيْءٍ رَمَيْتَهُ فِي النَّارِ لِتُسَعِّرَ وَمِنْهُ قَوْلُهُ
جَلَّ وَعَزَّ اِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ وَيُقَالُ قَضَبْتُ
الشَّيْءَ وَقَضَبْتُهُ اِذَا قَطَعْتَهُ وَسَيْفٌ قَضَّابٌ وَقَضَابٌ اَيْ قَاطِعٌ
قَالَ السَّاعِرُ

هِيَ قَضَّابَةٌ كَالْمِلْحِ فِي مَنْبِتِهِ كَالزَّرِّ

وَالْهَاءُ فِي قَضَّابَةٍ لِلْمُبَالَغَةِ يَعْنِي سَيْفًا ۝ الْيَزِيدِيُّ رَجُلٌ صَبَطْرٌ
وَصِبَطْرٌ اِذَا كَانَ شَدِيدَ الْخَلْقِ مُوَثَّقَهُ وَكَذَلِكَ بَعِيرٌ صَبَطْرٌ
وَصِبَطْرٌ مِثْلُهُ ۝

الصَّادُ وَالطَّاءُ

يُقَالُ لِلنَّاقَةِ اِذَا اَلْقَتْ وَلَدَهَا قَبْلَ اَنْ يُشْعِرَ قَدْ اَمْلَطَتْ وَاَمْلَصَتْ
وَاَلْقَتْهُ مَلِيطًا مَلِيصًا وَهِيَ نَاقَةٌ مُمْلِطٌ وَمُمْلِصٌ وَاِبِلٌ مَمَالِيطُ
وَمَمَالِيصُ فَاِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ عَادَتِهَا قِيلَ نَاقَةٌ مِمْلَاطٌ وَمِمْلَاصٌ
وَيُقَالُ اعْتَاطَتْ رَحِمُ النَّاقَةِ اعْتِيَاطًا وَاعْتَاصَتْ اعْتِيَاصًا اِذَا لَمْ

في الحاشية اليمنى السفلى المقلوبة : (ولم يذكر ذلك عبد الواحد في هذا الكتاب) أيضًا

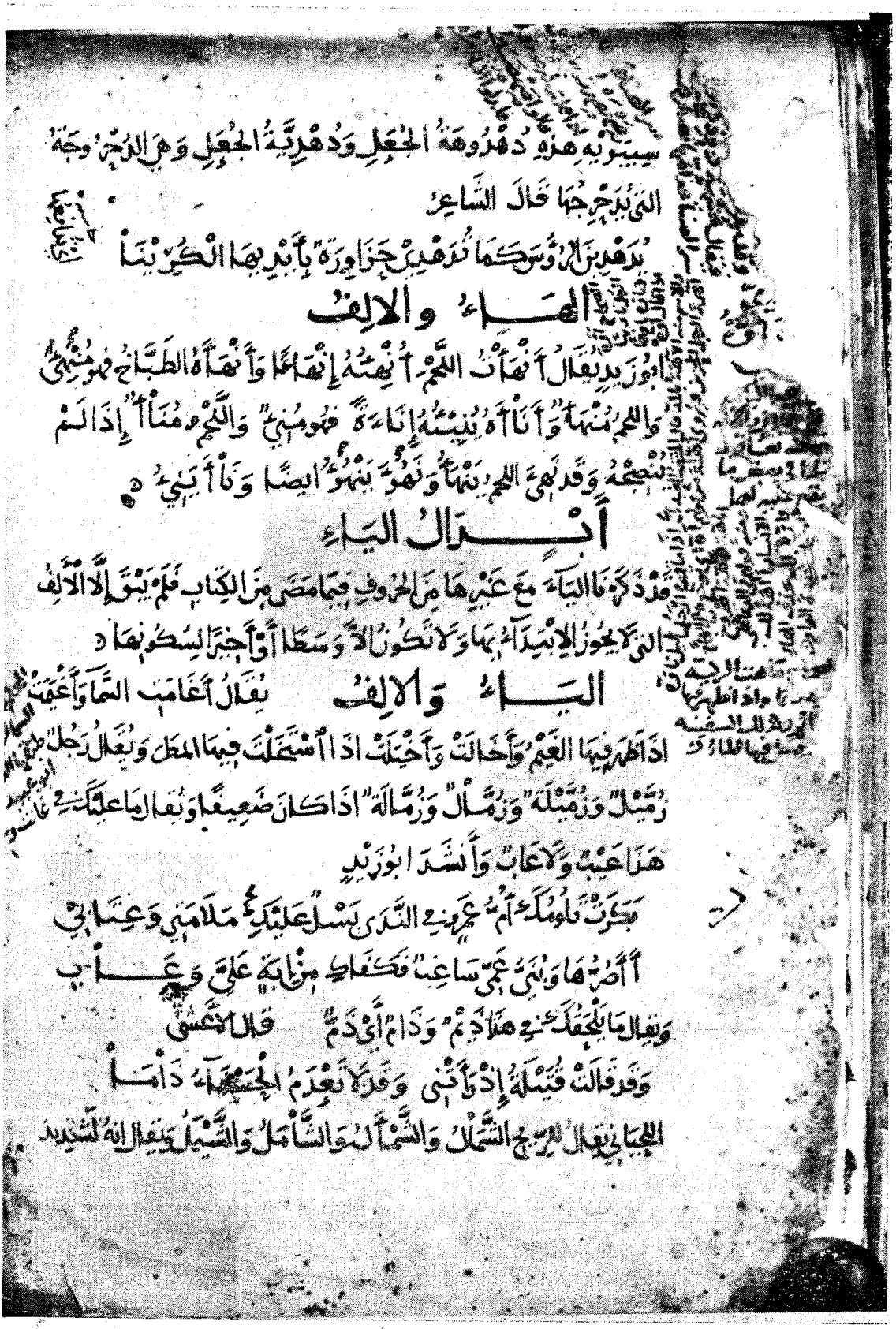

سيبويه هذه دهدوهة الجعل ودهدية الجعل وهي الدحرجة
التي يدحرجها قال الشاعر

يدهدين رؤوسكما تدهدي جراوزة بأبديها الكرينا

الهاء والالف

ابو زيد يقال أنهأت اللحم أنهئه إنهاءا وأنهأه الطباخ فهو منهئ
واللحم منهأ وأنا آنيئه إناءة فهو منيء واللحم منأ إذا لم
ينضجه وقد نهئ اللحم ينهأ ونهؤ ينهؤ ايضا وناً يئي

أبدال الياء

قد ذكرنا الياء مع غيرها من الحروف فيما مضى من الكتاب فلم يبق إلا الالف
التي لا يجوز الابتداء بها ولا تكون الا وسطا أو آخرا لسكونها

الياء والالف

يقال أغامت السماء وأغمت
اذا اظهر فيها الغيم وأخالت وأخيلت اذا استحلت فيها المطر ويقال رجل
رمل ورميلة ورمال ورمالة اذا كان ضعيفا ويقال ما عليك في
هذا عيب ولا عاب وأنشد ابو زيد

بكرت تلومك أم عمرو في الندى بسل عليك ملامتي وعتابي
أصرها وابنى عمي ساعد فكفاط من رابك علي وعاب
ويقال ما يلحفك في هذا دم ودام أي دم قال الاعشى
وقد قالت قتيلة إذ رأتني وقد لا تعدم الحسناء ذاما
الليث يقال للريح الشمال والشمأل والشأمل والشيمل ويقال انه لشديد